حوار مع الاهالي (١)
المعارضة لمبارك تأتي من داخل النظام

عندما ذهبت إلى «محمد حسنين هيكل» للاتفاق على اجراء هذا الحوار كانت المرة الاولى التي أدخل فيها مكتبه الملحق بمنزله والذي يزاول من خلال نشاطه وعمله منذ ترك الاهرام عام ١٩٧٤، فطوال ٢١ عاماً من ممارستي للعمل الصحفي لم يكن بيننا لقاء، وكان الحوار الوحيد بيننا مقالتين لي بجريدة الجمهورية عام ١٩٦٧ نقدت فيهما بعنف بعض آرائه ومواقفه المنشورة في مقاله الاسبوعي «بصراحة».. ولكنها لم تكن المرة الاولى التي ألتقي فيها به..

كان اللقاء الاول على باب سجن «ملحق مزرعة طره» يوم السبت ٥ سبتمبر ١٩٨١، وسيارات الامن تنقلنا جماعات من سجن «الاستقبال» إلى هذا السجن الذي خصص للسياسيين (من غير الجماعات الدينية الاسلامية، والمتحفظ عليهم من المسيحيين!).. شعرت وكثير من «نزلاء» سجن الملحق الذين اعتادوا هذه التجربة بالقلق.. «فهيكل» يمر بهذه التجربة للمرة الاولى.. وتمنينا جميعاً ان يجتازها.. بعد ايام زال القلق والمخاوف، وسقطت الحواجز، وبدأ حوار من اغنى ما شهده تاريخ مصر السياسي، بين قيادات وشخصيات وأجيال سياسية مختلفة.

هناك عرفت «محمد حسنين هيكل».. الكاتب والصحفي والسياسي الذي ترك بصمات واضحة على الحياة السياسية في مصر والعالم العربي خلال الثلاثين عاماً الماضية عرفته على طبيعته.. فكما قال هو.. فالسجن يظهر افضل ما في الانسان وأسوأ ما فيه بلا اقنعه..

● جريدة الأهالى ـ ٨٢/١٢/١ حسين عبد الرازق

ولم أتردد عندما عادت «الاهالي» للصدور في السعي لاجراء حوار معه.. ووافق فوراً، ولكنه طلب شيئاً واحداً.. ان يكون الحوار بعد ٢٥ نوفمبر ١٩٨٢، أي بعد انقضاء عام على خروجه من السجن.. الذي اراده عاماً للتأمل والتفكير والانتهاء من كتابه الجديد «خريف الغضب» الذي يظهر في السوق في يناير القادم.

في يوم الأربعاء ٢٤ نوفمبر، بدأنا هذا الحوار الذي ينشر الجزء الأول منه على هذه الصفحة.

● .. منذ تركت موقعك في جريدة الاهرام، تفرغت لاخراج عدد هام من الكتب.. ومارست دورك كصحفي من خلال العديد من المقالات في صحف العالم الغربي والوطن العربي. ورغم الحظر الذي فرض على مقالاتك في وطنك، كانت تصل إلى المهتمين في مصر، وتساهم مع غيرها من الكتابات والممارسات السياسية، في تحديد المواقف والآراء..

في السنة الاخيرة، وبعد خروجك من سجنك في ٢٥ نوفمبر ١٩٨١.. انقطعت عن الكتابة للصحافة.. ما هي أسباب هذا الامتناع، ومتى تعود للكتابة الصحفية، سواء خارج مصر أو في الصحف المصرية.؟

■ في فبراير ٧٤ تركت العمل في الاهرام نتيجة لخلاف مع الرئيس السادات. كان الخلاف حول قضية أساسية هي قضية الصلح المنفرد مع إسرائيل هذا الموقف الجديد تبلور في يوم حاسم من تاريخ مصر، هو يوم ٧ نوفمبر ١٩٧٣ عندما التقى انور السادات بهنري كيسنجر وزير خارجية الولايات المتحدة الامريكية في هذا الوقت. في هذا اليوم ظهر للوجود مشروع النقاط الست، وهي نفس النقاط التي اقترحتها جولدا مانير، وبدأ نوع جديد من العلاقات بين مصر واسرائيل، وعلى الاصح بين أنور السادات واسرائيل عبر امريكا، ودخلنا في مرحلة جديدة تماماً من

الصراع في الشرق الاوسط. طبعاً هذا التطور لم يأت فجأة ولكن بالقطع كانت هناك اتصالات وتطوير لعلاقات خفية نشأت من قبل وتحددت في هذا اليوم بصورة مباشرة، واستطيع القول ان عملية الصلح المنفرد بدأت باتفاق فك الارتباط الاول.

منذ هذا اليوم أصبح لي موقف محدد مما يجري.. وبدأت كتابة مقالات أكثر حدة ووضوحاً. شرحت ما جرى بيني وبين كيسنجر وتكلمت عن اسلوب التفاوض الاسرائيلي وأنا اقصد اسلوب التفاوض المصري..

وعندما تم اتفاق فك الارتباط الاول اعتبرته بداية لصلح منفرد مع اسرائيل سوف تكون له آثار سلبية اجتماعية واقتصادية وسياسية وفكرية على مصر وسيؤثر على مستقبلها في الفترة القادمة، وسيؤدي لعزلها عن العالم العربي. وكتبت ما اعتقد وخرجت من الاهرام بسبب هذه القضية.

إذن فقد خرجت من الاهرام نتيجة لموقف ودفاعاً عن قضية. وأن تكون صاحب موقف وقضية فلا يعقل أن تلزم الصمت وإنما واجبك بعد أن تركت موقعك أن تقول قدر المستطاع ما حدث بالضبط.

من هنا بدأت أكتب في هذا الموضوع وأتكلم فيه من هنا من القاهرة. وكان هذا قراراً سياسياً ان أبقى في مصر وأتكلم من مصر، لأكثر من سبب..

ـ فعندما تتكلم عن سياسة الحكومة المصرية ومواقفها وأنت خارج مصر في أمان كامل لا يكون لكلامك نفس المصداقية التي يكتسبها وانت داخل مصر تحت سلطة الدولة المصرية وخاضع لسلطة القانون المصري، فما تقوله وأنت في مصر لا بد أن تكون قادراً على اثباته قادراً على الدفاع عنه مستعداً للذهاب إلى السجن بسببه، قابلاً حتى أن تموت في سبيله.. ولم يكن أمام الرئيس السادات خيار، فإن أن يعتقلني أو يكذب ما أقوله. في اعتقادي كان صعباً عليه تكذيب ما أقول، وأيضاً كان صعباً عليه اعتقالي، لان الاعتقال في حد ذاته يؤكد ما أقول ويكشف أشياء اضافية..

ـ السبب الثاني، اعتقادي بضرورة أن يصدر صوت من القاهرة يخاطب رأياً عاماً عربياً واسعاً، يؤكد أن الارتباط المصري العربي القديم منذ أيام حزب الوفد

وتوقيع ميثاق الجامعة العربية إلى أن تجسد في التجربة الناصرية لا زال قائماً وله صوت يصدر من مصر وإن كان محروماً من الحديث داخل مصر ذاتها. كان ضرورياً أن تصدر اشارات إلى أطراف أخرى في العالم العربي تؤكد أن القوى الوطنية المصرية ما زالت موجودة. وقد تصورت أنني أقدر من يستطيع تأدية هذا الدور. فلقد كنت صديقاً لعبد الناصر وقريباً من التجربة، وأمثل أمام الرأي العام العربي جزءاً ما من تجربة عبد الناصر التي عاشتها الامة العربية وارتبطت بها، وشهادتي في شأنها ممكن أن تكون مصدقة لدى الرأي العام. كذلك فلم يكن في قدرة أحد أن يتهمني بموقف مسبق أو ارتباط بموقف حزبي، فقد عشت طول عمري صحفي اشتغل بالصحافة من موقف ملتزم، ملتزم بما أراه وليس التزاماً مسبقاً برؤية حزبية معينة.

حتى مع عبد الناصر طرحت أشياء لم يكن يوافق عليها.. فعلاً تكلمت عن تحييد أمريكا ولم يكن هو من هذا الرأي ولكن لم يعترض على حقي في إبداء ما أشاء من آراء لأني اتكلم من داخل التجربة ومن موقف وطني حتى وإن اختلفت مع رؤيته.

على هذا الأساس أخترت لنفسي بعد ترك الاهرام دورين متكاملين.. كتبت مجموعة من الكتب (٧ كتب) باللغة الانجليزية، نشرت في العالم وترجمت إلى أكثر من لغة، آخرها كتابي الذي نشر وأنا في السجن عن الثورة الايرانية. دخلت السجن وهو مترجم لسبع عشرة لغة وخرجت من السجن وقد وصلت ترجماته إلى ٣٣ لغة.

هذه المجموعة من الكتب أضعها متجاورة أمام مكتبي لتذكرني دائماً بأنني لم أخسر بتركي الاهرام فقد انجزت كتاباً كل سنة أو كل ١٦ شهراً تقريباً ظهرت في السوق الدولية، ولتكون بمثابة حساب للنفس عما حققت خلال هذه السنوات.. ومع الكتب مئات المقالات في الصحف والمجلات.. وقد استمررت على هذا المنوال حتى دخلت السجن.

بعد أن خرجت من السجن كان هناك جديد، وقد اعلنت بوضوح أنني لست طرفاً في لعبة السياسة المصرية. ولا طرفاً في لعبة الصحافة المصرية. هذا الموقف يمتد تقريباً إلى عام ١٩٧٥، وقد اتخذته في ظل ظروف وسياسات معينة، وأصبح موقفاً ثابتاً بالنسبة لي.

فبعد خلافي مع السادات وخروجي من الاهرام في فبراير ١٩٧٤ تمت مصالحة بيننا في نهاية عام ١٩٧٤، وجلسنا سوياً، وشاركت في محادثات اسوان بينه وبين كيسنجر، وإذا كان لي دور في افشال هذه المحادثات (مارس ٧٥) فأنا سعيد بهذا الدور..

وخلال هذه الفترة ـ فترة المصالحة ـ كانت لي بعض الآراء وشاركت في بعض المواقف.. مثل فتح قناة السويس، وكتبت للسادات خطبته التي تكلم فيها عن رفضه للقائلين بأن هناك ثورتين. (ثورة يوليو وثورة مايو) وهناك تجربتان وعهدان وأنا الذي أطرح في هذه الخطبة الاشارات الواضحة إلى الفساد وإلى وجود انحرافات وعمولات وسماسرة، وأيضاً ما قاله عن كيفية أن يعيش مواطن مصري بمرتبه في ظل الغلاء الموجود، وانه لا بد أن نجعل الحياة مقبولة بالنسبة للسواد الاعظم في مصر.. هذه النقاط الثلاث لم تكن من أفكار السادات ولكن طرحتها عليه وقبلها ووضعتها في خطابه.

هذه الفترة شهدت مناقشات حادة جداً بيني وبين الرئيس السادات لأني كنت أختلف معه، ولكنه كان يتصور أنني أستطيع أن ألعب معه دوراً، وعادت العلاقات بيننا في أكتوبر ٧٤ وطلب مني ان أكون مستشاراً للامن القومي فاعتذرت ورغم تعاوني معه في أشياء كثيرة إلا أن مناقشاتنا كما قلت كانت حادة أذكر عندما قرر تغيير وزارة الدكتور عبد العزيز حجازي وتكليف السيد ممدوح سالم بتأليف الوزارة، أنه طرح علي الفكرة وطالبته قبل أن يغير شخص رئيس الوزارة أن يحدد الهدف أو ماذا يريد. وقلت له إن النظام يحتاج الآن إلى تحديد أي قوى اجتماعية يمثل. كنا جالسين في الهرم وقلت للرئيس:

من غير زعل انت لو سرت بطريقة طبيعية في سلك الجيش وبصورة جيدة، كنت الآن اللواء أنور السادات.. لماذا أصبحت الرئيس أنور السادات؟..

الاجابة على هذا السؤال هي النقطة التي لا بد أن تبحث..

في ٢٣ يوليو عام ٥٢ تغيرت السلطة في مصر، وبعدها غيرت الثورة التركيب الاقتصادي والاجتماعي في مصر. بعد رحيل جمال عبد الناصر اصبحت رئيساً للجمهورية، سلطتك قائمة على ما اسميناه تحالف قوى الشعب العامل. هذه هي القاعدة الاجتماعية لثورة يوليو. بسياسة الانفتاح التي بدأت في العام الماضي (١٩٧٤) اتغيرت القواعد، وعليك أن تسأل نفسك.. هل ما زلت تمثل التحالف القديم.. رأيي أن الأمر لم يعد كذلك، ولا بد من اعادة توصيله من جديد، لا بد من تحديد هويته ومرتكزاته الطبقية..

نظر إليَّ الرئيس السادات وقال: «محمد.. انت تتكلم عن الصراع الطبقي يا محمد».. وبدأ يكتب في الهواء» أنور السادات.. قرار من رئيس الجمهورية، مادة أولى: يلغى الحقد الطبقي، مادة ثانية: على وزرائنا كل فيما يخصه تنفيذ هذا القرار. امضاء أنور السادات كبير العائلة المصرية»..

كان الأمر يتجاوز حد المعقول. وعندما قابلت ممدوح سالم عرض عليَّ منصب نائب رئيس وزرائه، اعتذرت طبعاً بعدها قال لي الرئيس السادات إذا لم تعجبك كل هذه المناصب ارجع الصحافة بس تلتزم، اعتذرت أيضاً كان فك الارتباط الثاني في أسوان قد فشل، وكنت أرى في الافق أنه يتجه رغم ذلك إلى فك ارتباط ثان، إلى تأكيد الصلح المنفرد. منذ ذلك الوقت قررت الاعتذار من أي منصب، فموقفي منذ عام ١٩٧٥ في إطار ما هو قائم لست طرفاً في لعبة الصحافة المصرية ولا لعبة السياسة المصرية.

أعود إلى ما بعد خروجي من السجن في نوفمبر ٨١ أي منذ عام كامل. أعلنت أنني طرف مراقب، ولكنني لست طرفاً محايداً فلم أكن أبداً محايداً ولن أكون. ولكن لم أكتب لا في العالم العربي ولا في مصر.

بالنسبة للعالم العربي، لم تعد الاوضاع أفضل كثيراً من أوضاع مصر التي كنت أكتب وأتكلم عنها منذ عام ١٩٧٤. في الماضي كانت أمامنا جميعاً قضية محددة هي كامب ديفيد، وضرورة الدفاع عن ارتباط مصر العربي..

الآن وبعد كل ما جرى أعتقد أن هناك أكثر من كامب ديفيد جديدة في العالم

العربي كله، ومن غير المعقول أن يقتصر حديثنا على كامب ديفيد الاولى أي المصرية. وإذا كنا نقول أن وقائع الفساد في مصر تمثل مليون «ووترجيت»، فأنا أقول أن بعض ما حدث في العالم العربي في السنوات العشر الأخيرة وبعيداً عما جرى في مصر يمثل بدوره مليون كامب ديفيد أو على الأقل عشرة أو اثنتي عشرة كامب ديفيد. ولن يسمح لي أحد في العالم العربي أن أتكلم إلا عن كامب ديفيد المصرية.. وهو أمر غير مقبول.. بالنسبة لي على الأقل.. باختصار أوضاع العالم العربي في الوقت الحاضر لا تسمح بالكتابة في قضايا المنطقة.

وفي مصر التزمت بنفس الموقف القديم أنا خارج لعبة الصحافة المصرية وخارج لعبة السياسة المصرية.

الآن بعد مضي عام.. قضيته أتابع وأراقب ما يجري وأعمل في كتبي.. لو فكرت في الكتابة في مصر.. فأين أكتب؟!

بصراحة لست على استعداد للكتابة فيما يسمى بالجرائد القومية ولا أظن أن هذه الجرائد مستعدة أن تنشر لي..

أما صحف المعارضة.. فكل جريدة تمثل موقفاً معيناً قد لا أوافق عليه كله، ثم أن أي مساحة في صحيفة حزبية من حق أصحاب هذا الحزب.

أنا أكتب عادة مقالاً صفحة أو صفحتين ،لوكتبت عندكم في «الأهلي» من حق الحزب أن يحتج على رئيس التحرير أولاً لان اتجاهي لا يكون بالضرورة مطابقاً لاتجاه حزب التجمع، وثانياً لان صفحات الجريدة ملك للذين يعملون في هذا الحزب ويرفعون رايته ومن حقهم أيضاً أن يعبروا عن آرائهم قبل غيرهم من خارج الحزب..

هناك بالطبع بديل ثالث، كنت على استعداد لاختياره لو كان متاحاً. وهو الحصول على ترخيص باصدار صحيفة من موقع مستقل. لو كان هذا ممكناً لم أتردد خلال ستة أشهر فقط في أن أصدر صحيفة جديدة في مصر.

إنني أشعر بالحزن لأن القارىء المصري لا يعرف ما يجري حوله في العالم، أو ما يجري حتى في بلده بعد أن يصبح الأمر تاريخاً ماضياً.

تسألني بعد ذلك لماذا لا تكتب..

أقول لك هذه الاوضاع في العالم العربي.. وهذه هي ظروف الكتابة في مصر.. وبالتالي اخترت الصمت. وعندما طرحت علي فكرة هذا الحوار وجدتها صيغة معتدلة، دون أن تكون اقتحاماً لصفحات «الأهالي». وفي نفس الوقت تكسر صمتاً طال لمدة عام.

● منذ حادث المنصة في ٦ أكتوبر ١٩٨١ طرحت قضية التغيير طرحتها قوى وأحزاب وشخصيات سياسية وطرحها رجل الشارع الذي علق كثيراً من آماله واسلامه على الرئيس حسني مبارك..

وعادت هذه القضية بعد ما يزيد على عام من ممارسة الرئيس مبارك للسلطة والحقائق المرة التي كشفت عن فترة الحكم السابقة.. عادت قضية التغيير تلح على وجدان المواطن المصري.. الذي أصبح مقتنعاً بضرورة اجراء تغييرات جذرية في السياسات التي أفرزت الازمة الشاملة التي يعاني منها المجتمع ومن ابرز مظاهرها الفساد..

في تقديرك ما هي أبعاد التغيير المطلوب الآن؟.. وما هو دور مؤسسة الرئاسة والرئيس حسني مبارك في انجاز هذا التغيير؟.. ودور القوى السياسية المعارضة؟

● لا يستطيع أحد الزعم بأنه لا يوجد جديد في مصر، وأيضاً خارج مصر. وأنا أرى أن هناك ارتباطاً عضوياً بين ما اسميته أنا خريف الغضب وكانت قمته حادث المنصة في ٦ أكتوبر ١٩٨١ وشتاء القلق في ١٨ و١٩ يناير ١٩٧٧ والذي اسميته انفجاراً شعبياً وقال عنها الرئيس السادات. انتفاضة الحرامية.. فهذه مرحلة كاملة متميزة متصلة.

لقد قدم الشعب المصري كل ما يستطيع وأكثر لقضية تحرير الارض، وبذل مجهوداً فوق القدرة الانسانية ليحدث أثره في ميدان القتال. أجيال متتالية من شبابه قضت سنوات وسنوات في الخنادق وفي تصورهم أنهم يدفعون خطراً عن أرضهم

لكي يحدث بعد ذلك شيء كبير في حياة الوطن وحياتهم. وبعيداً عن أي تفاصيل حقق الشباب والسلاح المصري حدثاً عاماً على المستوى الاستراتيجي. . ولكن السياسة المصرية لم تكتف باضاعة هذا النصر وقيمته الاستراتيجية على مستوى القتال. . بل أضاعته أيضاً على المستوى السياسي ومن ثم كانت له آثاره الاقتصادية والاجتماعية وابرزها تطبيقات الانفتاح.

وفي اعتقادي أن الانفجار الشعبي في ١٨ و ١٩ يناير ١٩٧٧ كان رد الذين كانوا على جسور العبور في القناة على سياسة الانفتاح أكتشفوا أن كل غنائم العبور قد سلبت منهم وذهبت إلى آخرين. . فكان انفجارهم في القاهرة.

بعد شتاء القلق في ١٩٧٧ . . ماذا حدث؟! بدأت قصة الاستفتاء ولأول مرة في تاريخ مصر يستفتي الناس على قانون يعاقب في ست مواد منه بالاشغال الشاقة المؤبدة. وفي نفس العام ١٩٧٧ وبناء على بلاغ اسرائيلي (!!) بأن هناك من يتآمر عليه في ليبيا، يقرر الرئيس السادات توجيه ضربة تأديبية لليبيا بالطيران! هناك بالطبع الكثير مما يمكن انتقاده من تصرفات الرئيس القذافي وقد يكون هناك تآمر، ولكن أن يبلغ الرئيس بهذه المؤامرة عن طريق الاسرائيليين فيقرر توجيه ضربة تأديبية تصيب جيش ليبيا العربي فهذا ليس رداً على القذافي.

تمت أيضاً في نفس العام اتصالات مع اسرائيل. لم تكن المبادرة في نوفمبر ٧٧ مفاجأة. . كانت هناك اتصالات سابقة ومباشرة اقربها لقاء التهامي في سبتمبر. وفي اعتقادي ـ كما سبق أن قلت ـ إن المبادرة قضية بدأت من نوفمبر ١٩٧٣ وسارت خطوة خطوة كانت لا بد أن تؤدي إلى الصلح المنفرد. لان اخراج هذا الصلح المنفرد تم في شكل درامي في نهاية ٧٧ فهذا لا يغير من الأمر شيئاً. بعد ٧٧ بدأت قصة الاستفتاءات على قانون حماية الجبهة الداخلية والسلام الاجتماعي، وتحقيقات المدعي الاشتراكي معي ومع آخرين، وتوالت القوانين والاعتقالات في ٧٨، ٧٩ وبدأت عام ٧٩ قصة التيارات الدينية حتى وصلنا إلى سبتمبر ٨١ وأكتوبر ٨١. . فترة كاملة واضحة المعالم لم تتوقف فيها الحوادث من يناير ٧٧ إلى أكتوبر ٨١ إذن فقد حدث شيء هام في مصر لا يستطيع أحد بعد كل هذا أن يقول إن الامور يمكن أن تسير كما هي ولسنا في حاجة إلى جديد. .

قضية التغيير مطروحة بقوة ليس من جانبي ولا من الاحزاب السياسية ولكن نتيجة حتمية للواقع المصري بتفاعلاته التي حدثت من يناير ١٩٧٧ حتى أكتوبر ١٩٨١.

خمس سنوات كلها قلق وتمزق وتفاعلات.. وحديث عن الفتنة الطائفية والحقد الطبقي. أصبح التغيير ضرورة.. فالتغيرات السياسية القائمة لم تعد ممثلة اطلاقاً للحركة الاجتماعية أصبح هناك تناقض بين الاثنين. حركة المجتمع الاقتصادية والاجتماعية والفكرية في ناحية. والقوى السياسية في ناحية أخرى.

هل معنى ذلك أن هناك تغييراً قد حدث بالفعل؟.. اقول لا لم يحدث الضروري والحتمي الذي يتلاءم مع الواقع الاجتماعي في مصر..

التغيير حدث في ناحيتين فقط.. الاسلوب والمناخ..

هناك الآن حاكم يتصرف كما يتصرف البشر وليس كما يتصرف الآلهة، لم يعد هناك حاكم يمسك في يده بمفتاح الحياة ويتمثل الصور الجانبه لرمسيس الثاني.. الخ.. هذا الاختلاف في شخص الحاكم أدى إلى تغيير في اسلوب ممارسة الاشياء.. وهذا شيء هام جداً..

نتيجة لتغيير الاسلوب حدث التغيير الثاني الهام وهو تغيير المناخ العام في مصر.

الرئيس بدوره المتميز في المجتمع المصري، أصبح ـ على الاقل في هذا الوقت ـ خارج عملية الصراع الحالية..

ما عدا ذلك لا يوجد تغيير في مصر. فأنا وانت والناس عندما نتكلم عن التغيير، نقصد التغيير المخطط.. وهذا لم يحدث بعد.

ولكن لا يجوز أن ننسى ان تغيير الأسلوب والمناخ فتح الطريق أمام متغيرات لا يملك أحد تجاهلها، وهي جزء من حركة وحيوية وديناميكية عملية التغيير عندما يحين وقتها.

مثلاً قضية الفساد استطيع القول إنه لم تكن هناك خطة مسبقة لمواجهة قضية الفساد. ولكن كانت هناك ومنذ أيام السادات قضية رشاد عثمان، أعدت وقدمت من المدعي الاشتراكي في اطار معين أما الذين اعدوها وقدموها لم يكن في نيتهم فتح ملف الفساد. ونسوا أنك تستطيع السيطرة والتحكم في حدث معين قبل أن يخرج إلى النور، ولكن بمجرد أن ينتقل الموضوع إلى الخارج، إلى قاعات المحاكم مثلاً تصبح له حركته المستقلة والذاتية التي لا ترتبط بارادات الذين اعدوه. وهذا ما حدث في قضية رشاد عثمان، ثم بصورة أكبر في قضية عصمت السادات واعتقد أنه عندما قدمت قضية عصمت السادات لم يكن أحد يتصور أن تأخذ هذا البعد في المجتمع المصري أو أن هناك من خططلها لكي تكتسب هذه الابعاد الواسعة. ولكن طبيعة المناخ السائد أحدثت هذا القدر الهائل من رد الفعل وستحدث أكثر منه. وهكذا طرحت عملية مواجهة الفساد وبدورها خلقت مناخاً جديداً . . ودفعت قوى لالتزام الدفاع وأخرى للمبادرة بالهجوم. هذا متغير جديد وليس تغييراً، أنا ألحُّ على هذه النقطة لأنه من المفيد جداً أن نفرق بين اشياء متغيرة بحكم أوضاع لا إرادة لاحد في تخطيطها، وبين ما نطالب به، وهو التغيير المنظم.

ومن الممكن وفي ظل ظروف معينة أن تلعب المتغيرات دوراً معجلاً للتغيير المنظم، وأحياناً تكون اقوى منه، إذا عجز التغيير المنظم عن اللحاق بحركة المجتمع . . وهذا تماماً ما حدث في قضية الفساد.

الفساد ليس مجرد مجموعة من وقائع الانحراف هنا أو هناك. وليس بعملية بوليسية، ولكنه صراع اجتماعي بين قوى مختلفة. جزء من هذه القوى مثلاً والذي كان على الهامش سارع بالهرب. السوق متخم بكثيرين ممن سحبوا قروضاً بالملايين من البنوك طبقاً لسياسة «الانفتاح» وبمجرد أن أحسوا بالمناخ الجديد. وليس التغيير واحتمال أن يتيح هذا المناخ للحركة الذاتية للمجتمع أن تطور إلى مداها، أسرعوا بالهرب للخارج، وتوفيق عبد الحي ليس إلا واحداً من عشرات من أمثاله. . إن ما يخيفهم أن تعميق المواجهة للفساد سيؤدي إلى كشف الضعف والتآكل من نظام الانفتاح ذاته.

القوى الاجتماعية صاحبة المصلحة الاساسية في هذه السياسة وتعبيراتها

السياسية والصحفية تجمعت وتكاتفت للدفاع عن مصالحها. قيمة هذه الاحداث أنها نبهت غالبية الرأي العام في البلد، ودفعت القوى الاجتماعية والسياسية المتصارعة إلى تحديد مواقعها، وكشفت المساحة الواسعة بين التعبيرات السياسية الموجودة من أحزاب وصحف ومؤسسات دستورية وبين الحقائق الاجتماعية والاقتصادية. وهذا بدوره يطرح قضية التغيير بالحاح أكثر من أي وقت مضى.

في هذه الظروف لا تملك إلا أن تتعاطف مع موقف الرئيس حسني مبارك. فدون هذا التغيير المنظم المطلوب مصاعب وأهوال جسيمة.

الوضع الاقتصادي على سبيل المثال مفزع. ميزانية الدولة هذا العام تعاني من عجز ٤,٥ مليون جنيه (٤٥٠٠ مليون جنيه) وهناك عجز في ميزان المدفوعات ٢,٥ مليون دولار (٢٥٠٠ مليون دولار).

الوضع الاجتماعي لا يقل سوءاً وخطورة على سبيل المثال، البنك الدولي في تقرير أخير له، أُشير إليه أثناء انعقاد المؤتمر الاقتصادي يقول إن ٥٠٪ من الدخل في العاصمة يذهب إلى ٥٪ فقط من سكانها وأن ٩٥٪ من سكان العاصمة يعيشون على ٥٠٪ فقط من الدخل.. وفي مجلس الشعب يقول أحد الاعضاء إن في مصر الآن ١٧ الف مليونير. ويقال إن رشاد عثمان ـ وأنا لا أعرفه ـ كون ثروة من ٣٠٠ مليون جنيه في سبع أو عشر سنوات.. وعصمت السادات.. وغيرهما من النماذج والظواهر غير الطبيعية التي نعرفها جميعاً..

الوضع الدولي.. وبصرف النظر عن آرائنا.. حكومة مصر أخذت موقفاً دولياً معيناً في السنوات الأخيرة، قطعت علاقتها بالاتحاد السوفيتي تقريباً أو جمدتها، ودخلت في نطاق شيء أكبر، واضح أنه الاستراتيجية الامريكية. ثم وقعت صلحاً منفرداً مع اسرائيل له أحكامه وقيوده. قبل توقيع هذا الصلح كان أمامها خيارات عديدة، ولكن لمجرد أن وقعت معاهدة الصلح، أصبح أمراً واقعاً مقيداً للحكومة المصرية.

وعلى حسني مبارك أن يواجه كل هذه القضايا ولا بد أن ندرك ونحن نطالبه بالتغيير بطبيعة ما يواجهه. وعلينا أن نتنبه أنه بمجرد أن سمح بالتغيير في المناخ

وحدث هذا التغيير في المزاج العام بدأت متغيرات تحدث ولو من غير تخطيط، كما سبق أن قلت من اثارت على الرئيس مبارك قوى غريبة. . ومن حقي ان أشعر بالدهشة وأنا أرى المعارضة لحسني مبارك تأتي تقريباً من داخل مؤسسات النظام بينما يأتيه التأييد من قوى خارج هذه المؤسسات.

إذن تناول قضية التغيير أمر ليس سهلاً ولكنها في الوقت أمر ضروري. وعليك أن تقرر كيف تتناولها. .

تقودنا مشكلة التغيير إلى موضوع آخر ولكنه مرتبط بها، ومطروح ضمن أسئلتك واعتقد أن توضيحه أمر ضروري وهي طبيعة المرحلة التي نمر بها، فأنا أعتقد أن مصر والعالم العربي كله تواجه مرحلة جديدة مختلفة تماماً عما سبقها.

لقد قلت منذ سنوات إن مرحلة «الثورة» تراجعت وفتحت الطريق أمام مرحلة جديدة هي مرحلة «الثروة» وكتبت قائلاً إننا نعيش الحقبة السعودية حقبة الثروة النفطية.

علينا أن نعترف أن الثورة في مصر توقفت حركتها بشكل أو بآخر في أعقاب هزيمة ١٩٦٧ صحيح أنها حافظت على مواقعها وظلت من وقت إلى آخر تبدي اشارات تعمق التزامها بالثورة، فهل قرار عبد الناصر بالاصلاح الزراعي الثاني، وانجاز مجمع الحديد والصلب والسد العالي بعد ٦٧ والمحافظة على مستوى الاسعار في ظروف الحرب حتى عام ١٩٧٠ ولكن الثورة توقفت حركتها في عام ٦٧ وكان توقف حركة الثورة مع محافظتها على مواقعها أمراً مقبولاً. . بعد ذلك بدأت تراجعات كثيرة. على ضوء هذه التراجعات ما هي القوى الموجودة في العالم العربي القادرة على التأثير في غياب الثورة؟! . . من الطبيعي أن يكون البترول، كوقود ومورد، كطاقة وأرصده. . تكلمت عن قدرة هذه الموارد على ممارسة الضغط على أمريكا. وعندما وقعت حكومة مصر اتفاقية فك الارتباط الأولى عام ١٩٧٣ وبدأت الخروج من الساحة بما يعنيه ذلك من عدم قدرة الجبهات العسكرية الأخرى على الضغط ولم يعد أمامنا إلا استخدام الموارد القادرة على الضغط على أمريكا لكي تضغط بدورها على اسرائيل.

في هذا المناخ قلت.. الثورة تراجعت..والثروة تقدمت،وأننا دخلنا الحقبة السعودية.. وكان هذا صحيحاً. ولكن أعتقد أن الحقبة السعودية أيضاً انتهت.. انتهت في بيروت، تصورنا أن الحقبة السعودية قادرة على ممارسة الضغط على أمريكا لكن ثبت أمامنا أن أمريكا كانت هي القادرة على أن تؤثر على النفط وعلى المال، بحيث أن أقصى إنجاز للحقبة السعودية، كان إخراج المقاومة الفلسطينية من بيروت، واعتبرنا ذلك انتصاراً عظيماً.

هنا بدا واضحاً أن المصلحة الاجتماعية للأسف الشديد ـ غلبت المصلحة الوطنية والقومية في هذه المرحلة وأن الطبقات السائدة كلها آثرت حماية مصالحها في النهاية وتخلت عن كل ما عداها وبالتالي سقطت الحقبة السعودية في بيروت. ما كنا نراه في السابق، ظهور حقبة جديدة نسميها مع الأسف الشديد «الحقبة الاسرائيلية».. فوق امبراطورية عربية قادرة على فرض ارادتها على شتات ممزقة تحيط بها ولا يوجد من يستطيع مجابهتها. اكتشفت كل الانظمة العربية أن ما بينها وبين القوة الاسرائيلية هو فقط تلك المساحة التي تستطيع الولايات المتحدة الامريكية أن تتحرك فيها لحمايتهم منها.

إذن نحن أمام مرحلة جديدة تماماً، لقد مر العالم العربي بمراحل مختلفة. النظام العثماني كان آخر نظام جمع المنطقة كلها في نظام واحد. بعد أن انتهى النظام العثماني في الحرب العالمية الاولى وانتهت الخلافة، بدأت المنطقة تدخل في مراحل مختلفة.

المرحلة الاستعمارية لم تحقق نجاحاً. تلتها الحقبة الوطنية الليبرالية ولم تصل إلى النجاح. ثم بدأت حقبة الحركة القومية العربية الثورية، ووجهت بمنتهى القسوة. وتوقفت في عام ١٩٦٧ ثم تراجعت بالكامل بداية من عام ١٩٧٤ وصولاً إلى كامب ديفيد. وجاءت الحقبة السعودية التي انتهت في بيروت وها نحن ندخل الحقبة الاسرائيلية مع الاسف الشديد.

أمام هذه الاوضاع فنحن في حاجة إلى نظرة مختلفة للامور وجديدة تماماً.

انتقل الآن إلى مسئولية مؤسسة الرئاسة ومسئولية القوى السياسية الأخرى من هذه الظروف كما تطرح في سؤالك ؟

لقد قلت دائماً إن العالم الثالث يمر بمرحلة انتقال وما زلت أقول ذلك ومن حقي أن أسأل هل هي محض صدفة أنه لا يوجد في العالم الثالث كله من أول «دكا» في بنجلاديش إلى (الدار البيضاء) في المغرب إلا الحاكم الفرد مهما كان اسم النظام القائم ملكي أو جمهوري تقدمي أو اشتراكي أو رجعي لا يمكن أن يكون الأمر مجرد مصادفة. إنها مرحلة انتقال المجتمعات أتت جميعاً من المرحلة الاقطاعية القبلية القائمة على الشرعيةالتقليدية، تحاول الوصول للشرعية الدستورية القانونية. تلك الشرعية التي تقوم في مجتمع اكتمل فيه نمو الطبقات واستطاعت هذه الطبقات أن تجد التعبيرات السياسية الملائمة لمصالحها، وأن تدير صراعها الاجتماعي بالحوار وليس بالحرب الأهلية، كل أوربا الغربية بنماذجها الديمقراطية مرت بمرحلة الرجل الواحد والصراعات الاجتماعية المفتوحة إلى أن وصلت إلى قدر من التجانس يسمح بالحوار.

نحن الآن في مرحلة انتقال تتميز بسيولة في التركيبات الطبقية والاجتماعية، وارتباك في قدرة هذه الطبقات في التعبير عن نفسها ومصالحها، ومن ثم يلعب المثقفون دوراً أكبر في التعبير عن هذه الطبقات أكثر مما تعبر هذه الطبقات عن نفسها، ففيما عدا ملاك الاراضي أو المستفيدين من التعامل مع سوق المال العالمي، الطبقات كلها في مرحلة تكوين تفتقد التعبير السياسي عنها وعن مصالحها، حتى الطبقة العاملة والفلاحين، يتولى المثقفون الحديث باسمها، المثقفون لا يمثلون العمال أو الفلاحين، ولكن يتكلمون عنها نتيجة لالتزام فكري، ولكن لا بد أن تفرز هذه الطبقات في المستقبل قيادات من داخلها.

على أية حال في الاوضاع الحالية، حيث الشرعية هي شرعية البيروقراطية لا بد أن نجد التركيب هرمياً لأن هذا هو طبيعة البناء البيروقراطي. تركيب هرمي على رأسه فرد واحد. هو في الغالب قائد عام أصبح قائداً أعلى ربما باستثناء الهند لسبب طبيعتها التعددية.

مصر كان ممكن أن تكون استثناء، وهي في اعتقادي مشروع استثناء، ولا يجب أن ننسى أن الدولة القومية في أوربا احتاجت ٤٠٠ عام ليكتمل تكوينها.

تاريخ الدولة المصرية الحديثة يبدأ من عصر محمد علي، وتاريخ الحركة

الشعبية المصرية يبدأ بالثورة العرابية وما سبقها من ارهاصات. . وبالنسبة لمصر هناك قضيتان اساسيتان.

أولاً. . موقعها الجغرافي الذي فتحها على العالم كله، وجعل من المستحيل أن تغلق عن العالم بقرار من أي سلطة أو حاكم. .

ثانياً. . قيمة مصر التاريخية أو التي تكتسبها باستمرار بمقدار تأثيرها فيمن حولها، كذلك فإن شعب مصر سبق غيره في التقدم والنمو، ولديه حصانة ضد العنف. والتجربة الأخيرة لم تستمر أكثر من ثلاثة أشهر ثم انتهت. . ومع ذلك فمن الخطأ القول إن مصر ليست من العالم الثالث. الصحيح أن مصر أكثر دول العالم الثالث تهيؤاً للخروج من مرحلة الانتقال. .

إن مجمل الظروف التي تحيط بمصر الآن تجعلها مرشحة للدخول في مجال التعبير السياسي المفتوح.

إن ما نواجهه من مشاكل لا يمكن أن يحله إلا الناس أنفسهم. المشكلة الاقتصادية مثلاً، لوطرحت الدولة كافة تفاصيلها وما تفرضه على الناس من أعباء، لن يقبل الناس. ذلك، ستسأل أولاً من المسئول عن ذلك، وسلطة الدولة معزولة عن الناس لا بد أن تصطدم بهم. لكن لو ترك قدر حقيقي وكاف للناس من الحرية لتتبين بنفسها مشاكلها وتتحمل بنفسها التضحيات المطلوبة، وتحدد بنفسها أهدافها وتدفع التكاليف الضرورية لهذه الاهداف لأمكن تحقيق الكثير.

أيضاً المواجهة مع إسرائيل. لم تعد الحكومة قادرة على مواجهة القيود التي وضعت على حركة مصر نتيجة لاتفاقات كامب ديفيد وما تلاها، دون أن تتعرض لمشاكل كبيرة جداً. ولكن الذي يستطيع المواجهة هو الناس من هنا يبدو موقف الحكومة مثلاً قوياً في خطوات التطبيع أكثر من أي موضوع آخر مثل استدعاء سفير أو إخراج سفير، لأن التطبيع أمر مرتبط مباشرة بالناس.

إذن لا بد أن تنقل القضايا الرئيسية من سلطة الدولة منفردة ليشارك فيها من يستطيع أن يشارك دون أن يكون لقوله لا عواقب ولا تبعات تتحملها الحكومة وحدها.

هناك أيضاً سبب إضافي للتناقض بين الناس وسلطة الدولة. من قبل الثورة، وعلى وجه التحديد منذ الحرب العالمية الثانية وسلطة الدولة تتسع.. حالة الطوارىء لمواجهة ظروف الحرب العالمية الثانية.. ثم سلطات أكبر للدولة بعد الثورة لمواجهة خلع الملك واعلان الجمهورية والاصلاح الزراعي.. وتأميم قناة السويس.. السادات أخذ للدولة سلطات أوسع لمواجهة الحرب، ثم لمواجهة النصر. تجمعت لدى الدولة كل السلطات التي تمكنها من صنع المعجزات. الناس تطالب بحلول لمشاكلها الاقتصادية والاجتماعية ولكنها لا تستطيع لأنها لا تملك السلطة.. إذن حان الوقت لأن تعيد الدولة للناس ما أخذته سلطات، للطوارىء أو لمواجهة القرارات الكبرى والتحولات الضخمة أو لظروف الحرب.. لأننا لا نواجه أياً من هذه الظروف الآن. الناس ترى أن من يملك كل هذه السلطات مطالب بعمل المعجزات، ولكنه لا يستطيع موضوعياً ذلك.. لا يوجد حل لهذا التناقض إلا أن تعود السلطة للناس ليصنعوا هم المعجزات..

وكما قلت فإن التطور في مصر مختلف وهي قادرة على أن تجرب وتقترب للخروج من العالم الثالث، وأن تقوم بما كان يسميه الدكتور محمود فوزي «المغامرة الخيرة».. مصر تقدر وأيضاً لا تستطيع أن تتوقف عند ما هي عليه.. فالعوامل التي سببت صدامات ومعارك مرحلة ما بين شتاء الغضب وخريف الغضب (٧٧ - ٨١) ما زالت قائمة، وهناك مؤسسات تدافع عن نفسها.. وما لم تستطع عناصر من أنقى عناصر هذا البلد ومن أخلصها أن تتفق على تحليل مشترك ورؤية مشتركة وتتجنب الصدام.. فهناك يصبح الأمر بالغ الخطورة.

● قضية الفساد ومسلسل فضائحه تستحوذ اليوم على اهتمام الرأي العام في مصر وقد أشرت بوضوح فيما سبق لبعض جوانب هذه القضية ومع ذلك تبقى نقطتان أعتقد أنهما تحتاجان إلى المزيد من الايضاح..

الأول: مفهوم الفساد هل هو ظاهرة انحرافات فردية أم قضية مرتبط باختيارات سياسية وطبقة طفيلية انفتاحية سادت الحكم والمجتمع خلال السنوات الثمانية الأخيرة من حكم السادات؟

الثانية: ترتبط بما ردده البعض من أن دور عصمت السادات وغيره من

اشقاء وأقارب الرئيس السابق أنور السادات في الفساد لا يختلف عن دور بعض اشقاء الزعيم الراحل جمال عبد الناصر.

كشاهد على العهدين ما هو تفسيرك للظاهرة ورأيك فيما يقال حولها ومعلوماتك حول عصمت السادات خلال العهدين؟

■ حل الفساد نتيجة لسياسات سمحت به. فعندما تفتح الباب بهذه الطريقة أمام أربعين بنكاً أجنبياً أنت أعطيت تصريح لمن يشاء أن يفعل مايشاء. فكيف يتم أي تخطيط في بلد نام إذا لم يكن هناك سيطرة على سوق المال، أمر مستحيل في الدنيا كلها.

وحقيقة أنا لا أجد مثيلها للفترة التي كنا فيها إلا في عصر الخديري اسماعيل. ولعلنا نتذكر الحادثة المشهورة الخاصة بقنصل النمسا الذي أراد أن يخدم أحد رعاياه فرتب أن تلتوي قدم الرجل اثناء نزوله على سلم فندق شبرد. وذهب القنصل للخديوي وطالب الخديوي بتعويض للرجل بدلاً من رفعه قضية تعويض، فأعطاه الخديوي ٢٠ ألف قطعة ذهب حدث مثل هذا في السنوات الأخيرة. دخلت الحكومة في مشروعات ثم تقرر الغاؤها ودفعنا تعويضاً لاصحاب هذه المشروعات!

الفساد كان نتيجة لخيارات اجتماعية، تتناقض مع روح العصر ومع مصالح مصر. هذا هو الاساس والباقي مجرد تفاصيل، سواء كان موضوع رشاد عثمان أو عصمت السادات، وأهمية هذه التفاصيل أنها تكشف عما هو أخطر وأهم. لا يمكن النظر للأمر نظرة بوليسية فأنا أعتبر القضية ظاهرة اجتماعية تمت في ظل مناخ سمح بنموها واستشرائها..

بالنسبة لعهد عبد الناصر، أوافق كل الموافقة أن تطبق على كل أقارب عبد الناصر ما يطبق على أقارب السادات وعبد الناصر ما يطبق على أقارب السادات. وعبد الناصر مسئول عنهم حتى يوم ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ ولا يستطيع أحد أن يطلب أكثر من ذلك.

بالنسبة لي أعرف جيداً أوضاع اسرته. عند وفاته كان الاولاد كلهم ما زالوا في

مراحل التعليم المختلفة. «هدى» ابنته الكبرى كانت تعمل معي في الاهرام بمرتب خمسين جنيهاً «حاتم صادق» زوجها كان يعمل أيضاً معي في الاهرام بمرتب ١٣٠ جنيهاً. ابنته «منى» كانت تعمل بدار المعارف بمرتب ٣٧,٥ جنيه، أشرف مروان كان موظفاً في الرئاسة بمرتب ٤٧,٥ جنيهاً. أشقاء عبد الناصر، قيل أن «الليثي» فتح مدرسة خاصة واشترى بيتاً، وقد أغلق عبد الناصر المدرسة له..

مرة أخرى فليحاسب كل فرد في أسرة عبد الناصر بنفس المعايير التي يحاسب بها كل فرد في أسرة السادات، وأن نعتبر عبد الناصر مسئولاً مباشرة عن أي انحرافات يثبت وقوعها قبل وفاته في ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠.

لماذا اختار عبد الناصر السادات نائباً له؟ (٢)

في هذه الحلقة يزيح محمد حسنين هيكل الستار عن الصدف التي أدت إلى اختيار السادات نائباً لعبد الناصر، والصدف التي أبقته في هذا المنصب حتى وفاة جمال عبد الناصر، وعن القصة الحقيقية لقبول عبدالناصر مبادرة روجرز قبل أن يصل إلى موسكو.. وعن الصراع الدائر في مصر حول الفساد، وموقفه من التعدد الحزبي والأحزاب القائمة.. وعن أخطر القرارات التي اتخذها السوفيت لمساندة مصر.. وعن وجهة نظره فيما جرى في ١٣ مايو ١٩٧١..

وكان في الحلقة الأولى من هذا الحوار الطويل بين محمد حسنين هيكل ورئيس التحرير، أزاح هيكل الستار عن أسباب حلافه مع السادات وموقفه من الصلح المنفرد مع اسرائيل، وتناول جوانب من قضية الفساد، وطرح ضرورة التغيير، والموقف العربي وتراجع الثورة والثروة وبدر ما أسماه بالحقبة الاسرائيلية.. وغيرها من القضايا والأسرار الهامة.

● **اتخذ الرئيس مبارك في الفترة الأخيرة.. خاصة بعد الغزو الاسرائيلي للبنان، بعض مواقف انعكست بدرجة أو أخرى على علاقات الحكومة المصرية باسرائيل.. تلك العلاقات التي نشأت وتعمقت نتيجة لاتفاقات كامب ديفيد ومعاهدة الصلح بين حكومة السادات واسرائيل..**

وأعيد الحديث عن ضرورة انتهاج سياسة متوازنة بين القوتين الأعظم.. وأعطى التفات واضح لمحاربة الفساد، وقضية التنمية.

وكان لكل ذلك انعكاس واضح على بعض الدوائر الأمريكية التي تتحدث بقلق ملحوظ عن الأوضاع في مصر!

إلى أي مدى يمكن لسياسة مصرية.. ملتزمة بمصالح مصر العربية وتوجهها المستقل أن تنعكس على العلاقات الخاصة بين الحكومة المصرية وأمريكا؟!

■ موقف الرئيس مبارك خلال أحداث لبنان. نقطة لصالحه. فمصر خلافاً لأطراف أخرى لم تعد بما لا تستطيع أن تفي به.. بالطبع. طموحي وآخرين كان يمتد إلى أبعد مما قامت به مصر. ولكني أشهد أنه في هذا الموقف الصعب الذي واجهته المقاومة الفلسطينية. لم تعد مصر بأكثر مما تنوي الوفاء به، ولم تكذب لا على الآخرين ولا على نفسها. أستطيع وأنا جالس هنا في مكتبي أن أقول إن كانت هناك ممكنات أخرى ولكن الأمر يختلف بالنسبة لمن يصدر القرار. والحقيقة أن ظروف الرئيس مبارك صعبة للغاية، ربما لهذا السبب فإن موقفي معه يختلف عن موقفي في عهد عبد الناصر وعهد السادات.. مع عبد الناصر كان هناك حوار دائم معه.. مع السادات اختلفنا وتركت الأهرام، وقلت رأيي بوضوح في الصحافة العربية

والعالمية . . أما بالنسبة لمبارك فقلت دائماً لا بد من إعطائه وقتاً كافياً . .

على سبيل المثال أنا لم أوافق على دعوة حزب العمل لتغيير وزارة فؤاد محيي الدين . فالقضية ليست قضية فرد ولكنها أكبر من ذلك بكثير والمنطقي بالنسبة لرئيس الجمهورية حتى يعطي نفسه الوقت الكافي والضروري لفهم الصورة . أن يثبت الوضع القائم، أن يعين نائب رئيس الوزراء الموجود رئيساً للوزارة إلى أن يحدد ما يريد بالضبط . .

كذلك لم أوافق على حملة حزب التجمع ضد حملة العمل بقانون الطوارىء واعتذرت عن الكتابة في حملة الأهالي (كفاية ٤٠ سنة طوارىء) . . كان رأيي أن هذا تفصيل - رغم أهميته - فمجموعة القوانين الاستثنائية التي تحكم بها أشد قسوة وتقييداً للحريات من قانون الطوارىء . .

ووجهة نظري أن مواجهة أي قضية يبدأ بأن تحدد بوضوح هدفاً، وأن يكون هذا الهدف يقع في نطاق قدراتك ثم تختار وسائل تحقيقه . . وأن تكون هناك مراجعة مستمرة للأداء . . تحديد الهدف مرتبط ارتباطاً كاملاً بتشخيص دقيق لحقائق الوضع .

والموضوع الأساسي من وجهة نظري، هو تحديد الخيارات الأساسية التي يمكن الأخذ بها لإخراج هذا البلد ومن ثم المنطقة كلها من حالة «العجز» التي هي عليها الآن .

إن ما نراه في المنطقة أمر مفزع، نحن في مرحلة انتقال، بين حقبة سيئة، وحقبة جديدة لا بد أن تبدأ، ولا يمكن أن يكون هناك جديد في المنطقة إلا إذا انطلق من مصر . . وهذا درس التاريخ، والجغرافيا، و . . و . .

إذن القضية تتجاوز التفاصيل، تتجاوز قانون الطوارىء وشخص رئيس الوزراء وغير ذلك من الجزئيات، بشرط أن نكون مطمئنين إلى أن هناك توجهات حقيقية وصحيحة لتوصيف ما حدث . . وفي حدود ما أرى، هناك جهود لا بأس بها في هذا الطريق . وإن كان الأمر في رأيي يقتضي ما هو أكثر من مجرد توجيهات . الأمر الآن يقتضي مواجهة للمشاكل والقضايا . .

على سبيل المثال.. المؤتمر الاقتصادي.. صحيح لم يصل الى نتائج محددة، ولكنه على الأقل بدد «بالونة» كاذبة كانت تحلق في سماء مصر اسمها «الرخاء» وأعطى لمحات من الحقيقة أو قريبة من الحقيقة.

هناك لمحات أخرى تقربنا من الحقيقة، مثل قضية الفساد التي ظهرت وفرضت نفسها على الواقع. والمعركة الدائرة حول هذه القضية تذكرني بقضية طريفة.. النبيل عباس حليم أحد أفراد أسرة محمد علي، كان شخصية غريبة.. نبيل من الأسرة الحاكمة، وضابط سابق في الجيش الألماني، وأحد الذين لعبوا دوراً في النقابات العمالية قبل الثورة، ثم أفرج عنه. في يناير ٥٣ اعتقل عدد من السياسيين وكان من بينهم ثم أفرج عنه. وتكرر الموقف عام ١٩٥٤. عباس حليم زارني في مكتبي وقال لي.. «قول لصاحبك (امسك رأسك) أي يحزم أمره.. يا يمسك.. يا يسيب»..

باختصار لا بد من أن تحزم الدولة أمرها في مواجهة قضية الفساد.. وأنا أتصور أن هناك جدلاً بين مؤسسة نظيفة في الدولة تريد لقضية الفساد أن تأخذ حجمها الطبيعي، ومؤسسة أخرى غارقة لأذنيها في الفساد. تقاوم كشف الفساد بحجج مختلفة أو تملأ الدنيا صراخاً حول الآثار الاقتصادية واهتزاز السوق.. إذن هناك شد وجذب.. ولكن لا بد من مواجهة حاسمة ونهائية لهذه المسألة..

نعود الى موقف مصر من العدوان الاسرائيلي على لبنان وقضية كامب ديفيد. بصراحة اعتقد أن هناك ما هو أكثر خطراً من كامب ديفيد. وكل من درس القانون يعرف أن أي معاهدة تتعلق قيمتها بموازين القوى التي أفرزتها، وأي تغييرات في موازين القوى هذه تجعل المعاهدة لا قيمة لها..

الخطر الأساسي والأكثر أهمية ما سمعت به خلال السنوات الأخيرة من خلل في الموازين العسكرية في المنطقة منح لاسرائيل تفوقاً عسكرياً غير مسبوق. بعد اتفاقيات كامب ديفيد أعلن أنور السادات أن حرب أكتوبر هي آخر الحروب. ولم تقل إسرائيل ذلك أبداً.

قضية التوازن العسكري ليست قضية في الحرب فقطولكنها قضية أيضاً في السلام. . فلا يوجد موقف تفاوضي لا يأخذ في اعتباره موازين القوى. . ومعاهدة كامب ديفيد كانت نتيجة طبيعية لتخلي المفاوض المصري عن جميع «الخيارات» الأخرى. في أي مفاوضات تحدد لنفسك حداً أقصى وحداً أدنى، الطرف الآخر لا يقبل حدك الأقصى، ولكنه يعلم أنك لن تتنازل عن حدك الأدنى. وقوتك في النهاية ـ وحتى دون أن تقول ذلك ـ أن خصمك يعلم أنه ما لم تحصل على الحد الأدنى المشروع من مطالبك، فسوف تلجأ الى وسائل «خيارات» أخرى لتحقيق أهدافك المشروعة. ولأنها مشروعة فالمفاوض والشعب الذي يمثله على استعداد لأن يدفع ما لا يستطيع الخصم أن يتحمله من خسائر. وما لم تكن قادراً على ذلك، فلو استمرت المفاوضات ٢٠٠٠ سنة أو أكثر فلن تستطيع الحصول على شيء.

ما هو أخطر من كامب ديفيد ـ كما قلت ـ هو اختلال موازين القوة العسكرية بعد عام ٧٣. . باستمرار كان هناك تفوق عسكري إسرائيلي، ولكننا كنا قادرين على تحقيق موازين استراتيجية معينة لمواجهة التفوق الاسرائيلي. . على سبيل المثال في حرب ٧٣ حاربنا على أكثر من جبهة ليوزع العدو قواته. . طورنا وسائل الدفاع الجديدة لكي نجعل منها قوة هجومية، بمعنى أن إدخال الصواريخ كعنصر أساسي في دفاعاتنا شل فاعلية تفوق الطيران الاسرائيلي، وكذلك الصاروخ المضاد للدبابات الذي عوض تفوق عدد الدبابات الاسرائيلية. . شاركت في الحرب إلى جانب مصر وسوريا بقية الدول العربية. . استخدم سلاح البترول. .

إذن رغم التفوق العسكري الاسرائيلي، كانت هناك موازين استراتيجية يمكن أن نخوض بها المعركة . . على أية حال التفوق الاسرائيلي العسكري كان نسبته ١,٣ إلى ١ . أخشى أن الأمر الآن بالغ الخطورة. فإسرائيل متفوقة على من حولها ممن يستطيعون التصدي لها بقوة نيران نسبتها ٥ الى ١ و ٢ر٧ إلى ١، وهي نسبة لا تستطيع أن تخلق بها موقفاً تفاوضياً أو تحقق من خلالها سلاماً. . وقد وصل الأمر إلى حد أن علاجه لا يتم بمجرد شراء مزيد من السلاح، والغريب أن ننفق حالياً في ظل «السلام» على السلاح أكثر مما كنا ننفقه في زمن الحرب! ـ لقد اشترت الأنظمة العربية في العام الماضي بما قيمته ٣٠ بليون دولار سلاحاً. . بينما مصر من ٥٥

الى ١٩٧٥ كل ما اشترته من أسلحة ٣ بلايين دولار ولم يدفع الجزء الأكبر منه.

في ظل هذا الخطر الاسرائيلي الداهم تثار قضية القوتين الأعظم وتحقيق توازن في العلاقات معهما. لقد تحدثت من قبل على مجمل الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المنطقة، وخروج مصر من المواجهة، وتوقف ثم تراجع الثورة، وبروز دور الثروة وما فرضته من خيارات دولية.. ولكن هناك عنصر هام آخر برز في هذه الفترة ويتعلق بالاتحاد السوفيتي..

بعد قيام الثورة السوفيتية تجمعت دول العالم كله لضربها، وتوالت عمليات الاستنزاف أكثر من مرة.. في عصر ستالين بكل الظروف التي أحاطت بالتجربة خلال حكمه، الحرب العالمية الثانية وضرب صناعاته الثقيلة والملايين من البشر التي فقدت خلالها، الدور الذي لعبه بعد الحرب في مساعدة حركات التحرر الوطني في العالم.. ثم حدث ما هو أخطر من ذلك، فبعد أن تحقق استحالة الحرب بين الدولتين، نجحت الولايات المتحدة الأمريكية في «جر» الاتحاد السوفيتي إلى سباق سلاح مروع، استنزفت موارده. في العام الماضي أنفق السوفيت ٣٠٠ بليون دولار على السلاح.. أرهقت التجربة السوفيتية بما لا تستطيع أن تتحمله وفي نفس الوقت لم تزدهر بالصورة التي كانت متصورة. يضاف الى هذا كله أن بيروقراطية الحزب غلبت حيويته وألزمت الاتحاد السوفيتي بموقف الدفاع.

من وجهة نظري وبصراحة لو كان الاتحاد السوفيتي أكثر جرأة ونشاطاً منذ عام ٦٧ لتغيرات الصورة. أنا لا ألوم الاتحاد السوفيتي ولكني أحمله جزءاً كبيراً من مسؤولية التراجع الذي حدث لحركة التحرر الوطني. ضربت مواقعها الواحد تلو الآخر. وكان هو القوة الدولية التي تستطيع أن تنقذ هذه المواقع قبل السقوط، ولكنها ترددت وتركتها لمصيرها، وفي النهاية وجدت الهجوم مباشراً ضدها، وواجهت أزمة في بولندا وفي أفغانستان..

لقد كانت حركة التحرر الوطني بمثابة ذراع لكل أفكار التقدم في العالم وكانت المعركة تدور فيها.. في الشرق الأوسط وأمريكا اللاتينية وأفريقيا.. ومع سقوط الموقع تلو الآخر، ووقوف الاتحاد السوفيتي غير قادر على مساندتها.. بدأنا

في مرحلة «الانتصار الأمريكي، في العالم كله مع الأسف الشديد وليس في مصر والمنطقة العربية وحدهما. . ومع أن الموازين العسكرية متعادلة بين الاتحاد السوفيتي وأمريكا، بما يمنع قيام الحرب لكن هناك صراع على العقول والقلوب والنفوذ والتفافات، وأمريكا تقود الهجوم ولا بد أن نسلم أننا في مرحلة ظهور أمريكي عام.

أيضاً لم نعد في عصر التحولات الكبرى ولا في عصر انطلاق حركة التحرر الوطني.

لا أحد يحلم في مصر أو يتصور أنه من الممكن القيام بمعجزات.

إذن كل ما نأمل فيه ونسعى إليه. أن تكون مصر مستقلة وغير منحازة، لأن هذا طبيعة دورها وطبيعة جغرافيتها وتاريخها.

لا يمكن أن تضع مصر تحت تصرف الجنون الأمريكي، الذي تحكمه المؤسسة القادمة من الغرب الأمريكي بغبائها وموقفها العدواني ودور شركات السلاح شركات الطائرات والصواريخ وصناعة الفضاء. . لا يمكن أن تترك مصر لمغامرات أمريكا في سباق التسلح لتصبح مصر هدفاً حربياً. . العالم كله في أمريكا وأوروبا ضد سباق التسلح ويطالب بنزع السلاح النووي. . حتى الكنيسة وهي مؤسسة يمينية في الغرب، تلعب دوراً بارزاً ضد سباق التسلح والسلاح النووي. .

مصر كانت بعيدة عن هذا كله والخطر كان بعيداً، ماذا يدفعني والمنطقة كلها مستهدفة الآن للدخول في هذه الدوامة. . ليس لنا مصلحة في مناورات النجم الساطع والنجم الأزرق. . الخ كل ما نريده أن نبتعد بمصر عن هذه الأخطار المحدقة نتيجة لدور المؤسسة العسكرية الأمريكية. . وأعتقد أن مصر تستطيع بوسائلها أن تبتعد عن هذه الأخطار. . ألا يكفي الخطر الاسرائيلي ؟! كل ما أطلبه الآن هو الصداقة مع الأمريكان. . وأن يتوقف هذا التسليم العشوائي غير الكريم لكل أوراق اللعبة لطرف واحد هو الولايات المتحدة الأمريكية.

● **لعبت دوراً بارزاً، طبقاً لما هو ثابت ومعروف وطبقاً لروايتك نفسها، في أحداث أو انقلاب ١٣ مايو ١٩٧١.**

بعد سنوات قليلة اصطدمت بالرئيس السابق أنور السادات كان الخط الأمريكي في سياسة السادات قد ترسخ. وقال البعض إنه كان السبب الرئيسي للخلاف بينكما. واعتبر آخرون الخلاف صراعاً على النفوذ وليس على الوجود الأمريكي.. ما هو تعليقك على هذا القول.. وهل كنت تتوقع حين ساندت أنور السادات في مايو ١٩٧١ أن يتجه بمصر هذا الاتجاه الذي ترسخ في سنوات حكمه الأخيرة؟

■ ما حدث في ١٣ و ١٤ مايو ١٩٧١ لم يكن انقلاباً، ولكنه صراعاً على السلطة بين فريقين. وأنا لا أتنصل من موقفي بالعكس أنا راض عنه، حقيقة أنا لا أريد أن أسيء إلى أحد وتربطني صداقات وزمالات بحكم العمل ببعضهم.. ولكن من نسميهم بعناصر ١٣ مايو، جميعهم وبدون استثناء وتقريباً من ضباط المخابرات السابقين.. وليس لي أي موقف ضد ضباط المخابرات فدورهم الوطني عظيم في مجال تخصصهم.. ولكن لا أتصور أنه فجأة وفي خلال عشر سنوات وبدون أن يسبق لأحدهم ممارسة العمل السياسي فجأة ينتقلون الى العمل برئاسة الجمهورية والحزب «الاتحاد الاشتراكي العربي».. وبالمناسبة فلم يكونوا كلهم في معسكر واحد بل كانوا ٣ مجموعات مختلفة. وقد قبلوا بالسادات رئيساً للجمهورية متصورين أنهم جاءوا بالأضعف وكل مجموعة تأمل في استغلاله لمصلحتها أنا لم أكن أبداً جزءاً من مجموعة أو تنظيم أو حزب، للأسف الشديد وكنت لا زلت فرداً وحيداً.. وقد قلت لبعضهم عندما اتفقوا جميعاً على اختيار السادات.. أنتم ترتكبون خطأ له سابقة في تاريخ مصر.. فبعد وفاة سعد باشا اختير مصطفى النحاس بدلاً من فتح الله بركات متصورين أن النحاس هو الأضعف، ولكن النحاس عصف بهم جميعاً..

الصراع كما قلت كان صراعاً على السلطة ولم يكن موضوعه قضايا عامة أو تحولات اشتراكية أو العلاقات مع أمريكا أو الوحدة أو الحرب.. الحرب التي كانت مؤجلة في ذلك الوقت لأن دفاعات الصعيد كانت ما زالت مكشوفة وتنتظر وصول بعض الامدادات من الاتحاد السوفيتي ومع ذلك دخلنا في مزايدات بالنسبة للحرب، وكذلك بالنسبة للوحدة، رغم أنه لا القذافي ولا النميري ولا السادات كانوا يريدون الوحدة. وهم أيضاً كانوا يريدون الوحدة. وهم أيضاً كانوا يعملون

أنه لا توجد أي نية لعمل وحدة. . ولكن الكل كان يناور «على رفعة الشطرنج كل يريد أن يأكل الملك» . . الفارق بينهم وبين السادات. أن السادات كان رجلاً مسيساً ممكن أن تتفاهم معه. وقبل أن يضع في برنامجه قضية الديمقراطية، بينما الآخرون ضباط مخابرات سابقين ممكن أن يتورطوا في إجراءات تحسب على الناصرية، ولا علاقة لها بالناصرية.

أريد أن أضيف ملاحظة هامة: لقد توافرت أمامي دلائل على أن هذه المجموعات التي دخلت مع السادات في صراع سلطة خطرت لها فكرة ونية استخدام القوات المسلحة في هذا الصدام. وهذا شيء خطير.

من ناحية أخرى. . فربما اعتبرت نفسي مسؤولاً عن المشاركة مع السادات في مواجهة مراكز القوى. ولكني لم أكن مسؤولاً عما حدث بعد ذلك في محاكمتهم. ولقد كان رأيي أن خروجهم من السلطة كاف بعد ذلك. . وأما المحاكمة وتوجيه نهمة الخيانة العظمى إليهم. فلم أكن متحمساً له. بل إنني رفضت دعوة للشهادة وجهها إليَّ المدعي الاشتراكي الذي أشرف على التحقيق وقتها. وهو الأستاذ مصطفى أبو زيد فهمي. وأبلغت رأيي للرئيس السادات الذي اتصل بالمدعي الاشتراكي وطلب إليه صرف النظر عن استدعائي للشهادة.

إذا وضعت ١٣ مايو ٧١ في هذا الإطار، فلم يكن هناك خط أمريكي أو غيره. . لقد تكلمت في هذا الوقت على تحييد أمريكا. . ولكن السادات اتجه اتجاهاً آخر، وكان خلافنا كما سبق أن قلت حول فك الارتباط الأول في نوفمبر ٧٣ لعدة أسباب. . إنه حل منفرد. . وحجم التنازلات التي أعطيت لتحقيقه. . وأنه تم تحت الرعاية الأمريكية، واستبعد الاتحاد السوفيتي، وفك كل عربي التحالف العربي والدولي والاجتماعي والسياسي والعسكري الذي حقق مكاسب حرب أكتوبر. . إذن لا بد أن نفرق بين الخلافات: خلاف ١٣ مايو ١٩٧١ كان صراعاً على السلطة. وأما خلافي مع الرئيس السادات في أواخر ١٩٧٣ وأوائل ١٩٧٤ لم يكن كذلك. ولم تكن لدي كصحفي أية سلطة. وإنما كان لي رأي يستمد قيمته من قدرته أو عدم قدرته على اقناع الناس بمنطقه. وهو إذن لم يكن خلافاً بين جناح أمريكي معتدل وجناح أمريكي متشدد.

وعندما نحكم على الموقف في ١٣ مايو، يجب أن يكون الحكم على ما كان موجوداً وقتها، فلا يملك أحد أن يدعي الحكمة بأني رجعي..

وحقيقة لم أتخيل أبداً أن يصل الأمر الى رحلة القدس. الكارثة أن رحلة القدس ليست شيئاً لا يمكن عمله على ضوء أي حسابات ولكن إذا كنت مستعداً أن تصل الى هذا المدى فقد كان هناك ألف طريقة للوصول إلى نتائج أفضل بما لا يقارن..

على سبيل المثال، بعد حرب ١٩٧٠ وبسبب الأوضاع العسكرية وقناعتنا باستحالة الوصول لأي حل دبلوماسي، قال عبد الناصر للسوفيت أن يجربوا بأنفسهم احتمالات الحل الدبلوماسي مع الأمريكان.. ولم يعطهم تفويضاً للحديث بدلاً عن مصر مع الأمريكان كما كان يقول أنور السادات، وكان هدفنا إقناع السوفيت بأن الأمريكان لا يريدون حلاً دبلوماسياً وبالتالي أن العمل العسكري أمر مفروض علينا..

عندما تولى السادات الحكم، وكان السوفيت ما زالوا يحاولون مع الأمريكان. سألوه هل تقبلوا مبدأ المفاوضات المباشر.. يرد «مستحيل».. هل ممكن تقبلوا تغييرات في الحدود على الجانبين ومناطق منزوعة السلاح.. يرد «مستحيل».. كان واضحاً أننا لم نعط السوفيت أي ورقة يجربوا بها الحل السياسي مع الأمريكان.. وفجأة رمى السادات بكل الأوراق في يد امريكا، بل في يد اسرائيل برحلة القدس..

مع الاتحاد السوفيتي صمم السادات على الحد الأقصى من طلباته، ومع غيره لم يتمسك بالحد الأدنى مما كان يجب أن يطلبه.. ولو قبل السادات بدلاً من الذهاب الى القدس المحتلة. المفاوضات المباشرة في حينها ولو في إطار مؤتمر جنيف، لخلق قوة ضغط عالمية هائلة على اسرائيل لا تملك مقاومتها من وجهة نظره وانصافاً لأنور السادات، فإن ذلك التشدد مع الأصدقاء والتساهل مع الآخرين لم يكن سياسته وحده، وإنما شاركت أطراف عربية غيره مع الأسف الشديد في هذه اللعبة.

وعلى سبيل المثال، فإن الملك فيصل في ديسمبر ١٩٦٩ اعتذر لجمال عبد

الناصر عن إمكانية زيادة الدعم لمصر بحجة أن السعودية لا تستطيع قبول سياسة مصر القائمة في ذلك الوقت على أساس قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ وأن هدف إزالة آثار العدوان ليس كافياً بالنسبة للسعودية، لأن طلبها الذي لا تحيد عنه هو التحرير الكامل لفلسطين وبالطبع. فإن المسافة واسعة جداً في ما كانت تقوله السعودية في ذلك الوقت وبين ما عادت تقوله بمقتضى مشروع فهد، أو تقديرها للايجابيات في مشروع ريجان.

عندما ذهب السادات إلى القدس. وأعلن أن حرب أكتوبر هي آخر الحروب، أنهى الخيار العسكري، وأنهى قيمته العربية وتخلى حتى عن سلاح رفض الاعتراف باسرائيل.. ولم يعد أمامه أي ورقة في مواجهة اسرائيل..

إذن ما دام مستعداً أن يصل الى هذا المدى المستحيل، كان أمامه خيارات عديدة يحقق بها نتائج أفضل ألف مرة، ولم يكن يستطيع بيجين أن يضم الضفة وغزة..

لا أريد أن أدخل في تفاصيل الأسباب التي دفعته الى هذا الطريق.. أقرأ كتابي الجديد «خريف الغضب».

● **أستاذ هيكل.. في ٣ سبتمبر ١٩٨١ دخلت السجن لأول مرة بقرار من الرئيس السابق أنور السادات.. وهناك التقيت بقادة وسياسيين ومناضلين ومفكرين وأفراد عاديين، كل جريمتهم أنهم مهمومون بأمور وطنهم.. هل كانت تجربة السجن ـ بالاضافة للمعرفة والتجربة المسبقة ـ كافة لكي تقدم تقييماً من وجهة نظرك، للقوى السياسية سواء كانت أحزاباً رسمية معترفاً بها أو قيادات قائمة في الواقع المصري، وممنوعة قصراً من التواجد القانوني؟**

■ تجربة السجن بالنسبة لي، من أغنى التجارب التي مررت بها. أنا كصحفي واشتغل بقضايا الرأي، احتمال السجن موجوددائماً في الأفق. ولكنه كان بالنسبة لي مجهولاً.. وكان أسوأ شيء بالنسبة لي هو الحبس الانفرادي..

عندما دخلت التجربة وجدتها غاية في الغنى.. مصر كلها كانت موجودة، ولم أكن طرف في تجربة أخوضها مرتين.. مرة كصحفي يتابع ما يجري في حدث

ضخم، ومرة كمعايش لرموز كل ما له قيمة في مصر..

وأعتقد أنه ليس هناك كتجربة السجن. فهناك تسقط حواجز كثيرة جداً بينك وبين الآخرين، المرحوم عبد العظيم أبو العطا مثلاً لم أكن أعرفه جيداً. أعرفه كشخص عام. بعد ٣ أسابيع قضيناها معاً في زنزانة واحدة، قمت بيننا صداقة قوية.. في السجن تظهر معادن الناس، الجيد في الانسان يظهر بقوة، والسيىء أيضاً، نعرف الآخرين دون براقع.

من الناحية السياسية وفيما يتعلق بما تسألني عنه من وجهة نظري عن القوى السياسية التي كانت معي في السجن، فإن التجربة زادت اقتناعي أننا أمام مجهول سياسي.. في حدود الظواهر لا يزال حكمي ـ مع الأسف الشديد ـ أننا أمام أشخاص وتيارات غير كاملة.. بمعنى أن ظروف نشأة الأحزاب في مصر تجعلني أقول أن الواقع السياسي الحقيقي في مصر لا زال مجهولاً، وأن القوى الموجودة على السطح لا تعبر بصورة حقيقية عن علامات القوى داخل المجتمع ولا على ما تمثله كل قوة بالنسبة للقوى الأخرى.

الأحزاب الموجودة كلها نشأت بقرار. مثلاً حزب التجمع اضطر لكي يتخلص من صيغته الأولى، ونتيجة لطبيعة التناقض، أن ينشط ويحاول الوصول للجماهير، ونجح إلى حد ما. حزب العمل حاول نفس الشيء. ولكن يبقى هذا كله في نطاق تجريبي بحت ولكني لا أعرف ماذا تمثل هذه الأحزاب حقيقة وهل وجودها يتناسب مع حجمها الفعلي أم لا؟.. وهل الأحزاب القائمة تمثل كل مصر أم لا؟..

هناك أشخاص أستطيع تعقب تاريخهم وأن أثق أو لا أثق بهم، وهناك تيارات فاعلة وليس أكثر من ذلك.. على أية حال ما رأيته في تجربة السجن يجعلني أقول أن في المجتمع المصري علامات لها قيمة، لكننا نحتاج لعملية فرز وتحديد لكي تأخذ هذه العلامات شكلها الحقيقي والطبيعي، وأن يكون لها الفوز الذي تمثله بالفعل وتعبر عنه بأمانة.

في السجن رأيت مجموعة وفدية، ذات ولاءات محددة.. ولكن ما هو حجم تمثيلها الحقيقي في المجتمع؟.. لا أعرف..

ورأيت حزب التجمع . . كأفراد ممتازين . . وأعرف كثيرين من أعضائكم أيضاً من قبل السجن . . ولكن لا أستطيع الحكم على الحزب . . أنتم كأفراد تمثلون تياراً فكرياً هاماً جداً . . ولكن مدى قوة هذا التيار في المجتمع ، وماذا يمثل هؤلاء الأفراد داخل هذا التيار . . كلها أسئلة تحتاج إلى إجابة .

ما نحتاج إليه هو أن يستعيد المجتمع قدرته على الحركة الذاتية لكي يتحدث الفرز المطلوب . فالقوى الاجتماعية في مصر نمت بصورة قد تتجاوز تصوراتنا ، وربما تكون فعلاً على وشك تخطي حاجز العالم الثالث التقليدي . .

المجتمع المصري أصبح في حاجة إلى حوار حر واسع ومفتوح ، ويحتاج إلى حركة سياسية تعبر عن قواه الحقيقية ، وإلى فرز يوضح ويجدد مواقع هذه القوى ويمنحها فرصة الحركة الطليقة .

● **في كثير من كتاباتك دافعت عن فكرة التنظيم الواحد ودور الفرد وطرحت تصوراً للديمقراطية في مصر والعالم الثالث يقوم على الموافقة لا المشاركة . . هل ما زلت عند هذا الرأي؟! ولماذا ـ وأنت صاحب موقف سياسي متميز في إطار الاتجاه الناصري ـ ثم تنضم لحزب من الأحزاب القائمة؟ . . ولماذا قاومت إنشاء التنظيم الطليعي «طليعة الاشتراكيين» ورفضت إنشاء مجموعة له في الأهرام؟ . . الا يتناقض هذا الموقف مع ما تقوله أخيراً من أن التغيير ينجزه قوى اجتماعية لا أفراد، وقوى منظمة لا مبعثرة؟ . . وما قولك في اتهام بعض الشيوعيين القدامى لك، بأنك لعبت دوراً سلبياً للغاية بوضع شرط حل الحزب الشيوعي كضرورة لدخولهم الاتحاد الاشتراكي وتعاونهم مع عبد الناصر؟!**

■ أنا ضد فكرة التنظيم السياسي الواحد، ودور الفرد. ولكن هناك فرق بين ما لا تريده وبين ما هو قائم وما يسمح به التطور. فالحديث عن ظاهرة الفرد وتحليل ظاهرة الحزب الواحد شيء والدفاع عنهما شيء آخر. على الأقل بطبيعتي كصحفي أدافع بكل قوة عن التنوع والتعدد.

ولم يحدث إطلاقاً طوال مرحلة القرارات الكبرى أن قلت إن هناك ديمقراطية بالموافقة ولكن بعد انتهاء هذه المرحلة تحدثت عن الديمقراطية بالموافقة في شأن

القرارات الكبرى التي اتخذها عبد الناصر مثل إعلان الجمهورية وتأميم قناة السويس والوحدة العربية، وطالبت بالانتقال إلى الديمقراطية بالمشاركة..

بالنسبة لموقفي من الناصرية والانضمام لحزب. فأنا لا أستطيع أن أصنف نفسي بتحديد دقيق كناصري. نعم التجربة الناصرية أكثر تجربة عشتها وتأثرت بها، وأستطيع القول إنني بهذا المعنى ناصري الاتجاه من موقع المعايشة والاقتناع الفكري والحوار مع التجربة، ولكني لا أقدر على أن أجعلها بداية ونهاية.. قد يستطيع غيري ذلك.. ولكن بطبيعتي كصحفي لا أستطيع أن انتظم في حزب. الصحفي والكاتب السياسي، هو عنصر مراجعة دائم، وأول من يكسر صفوف الحزب ووحدته التنظيمية، وقد حاول عبد الناصر معي مرات عديدة أن أدخل الاتحاد الاشتراكي والتنظيم الطليعي واعتذرت. ببساطة لا أستطيع التنازل عن حريتي في أن أتفق واختلف. قد لا يعلم كثيرون أن عبد الناصر لم يكن يقرأ مقالاتي حتى لا يحدث بيننا خلاف ولكن أشهد أنه لم يعترض أبداً على ما أكتب ولم يضع رقيباً علي، ولو حدث لتوقفت عن الكتابة. البعض يقول إنه امتياز منح لي. الأمر لم يكن كذلك لأنني مارسته أيضاً أيام السادات وانتهى إلى منعي من الكتابة والسجن.

رغم هذا الموقف الخاص بي فلم أكن ضد التنظيم الطليعي، وإنما كنت ضد السرية، وعندما أرادوا إقامة مجموعة للتنظيم في الأهرام رفضت، ولكنه قام سراً وعرفت ذلك فيما بعد.. وقد قلت وما زلت أقول إن الفرد لا يمكن أن يحقق التغيير، وإنما التغيير تفرضه التطورات الاجتماعية والاقتصادية، ولا يحققه إلا القوى الاجتماعية المنظمة..

أما موضوع اتهام بعض الشيوعيين لي فهو أمر غريب. لقد قلت، ويشهد على ذلك أعضاء في حزبكم أنه لن تكون هناك ديمقراطية حقيقية في مصر، إلا إذا شاركت قوتان أساسيتان في الحوار السياسي من خلال التعدد الحزبي وهما.. التيار الديني والتيار الماركسي. وكان رأيي وما زال أن الدولة ستبقى معتمدة على سلطة الشرطة وتفتقر إلى الديمقراطية الصحيحة طالما تمنع هذين التيارين من التعبير عن أفكارهم وأدائهم علنا وبوضوح كامل.

وغير صحيح أنني تدخلت في بيان الحل الذي صدر عن الحزب الشيوعي المصري عام ٦٥. كان هذا قرارهم ولأسباب موضوعية قرروها هم. وبالمنطق كيف أطلب من حزب أن يحل نفسه، لأضع نفسي بذلك على الطرف الآخر تماماً..

● **قرر عبد الناصر قبل وفاته إعادة تنظيم الدولة.**

لا يختلف أصدقاؤك وأعداؤك على عمق علاقتك بعبد الناصر. وحتى الآن ما زال العام الأخير من حكم عبد الناصر بأولوياته واهتماماته، يحمل كثيراً من علامات الاستفهام والأسرار التي تحتاج إلى تفسير.. مثل اختياره السادات نائباً له وقبوله مبادرة روجرز، وحقيقة علاقته بالسوفييت والأمريكان. الخ. ألم يحن الوقت ليعلم الرأي العام إجابات على هذه التساؤلات وغيرها؟!

■ لست مع الذين يفسرون التاريخ على أنه سلسلة من المصادفات أو المؤامرات.. ولكني أيضاً لا أوافق الذين ينظرون للتاريخ على أنه مجرد اختيارات واعية فحسب نتيجة للحقائق الاجتماعية والاقتصادية، ويستبعدون تماماً عنصر المصادفة فالتاريخ لا أ من المصادفات والهوى الإنساني والظروف المرحلية والحالة المزاجية في لحظة معينة، فهذه أشياء تلعب دورها إلى جانب الحقائق الموضوعية الاجتماعية والاقتصادية.

هذه مقدمة ضرورية لأجيب عن أسباب اختيار السادات نائباً لعبد الناصر.

عبد الناصر اختار السادات في ديسمبر ١٩٦٩ وكان في طريقه الى مؤتمر القمة العربي في الدار البيضاء.. عادة وقبل أن يسافر الرئيس إلى أي عاصمة أجنبية تسبقه «مجموعة المقدمة» لإعداد الترتيبات الادارية وتقارير عن الأوضاع في هذا البلد. سافرت مجموعة المقدمة ورأسها حسن التهامي مجموعة المقدمة أرسلت عدداً من التقارير من بينها تقرير أمني يشير إلى وجود مؤامرة لاغتيال عبد الناصر في المغرب، وأن الجنرال محمد أوفقير وزير الداخلية المغربي والمعروف بعلاقاته مع بعض الدول الأجنبية واسرائيل ضالع في هذه المؤامرة، على الأقل بالتسهيل عبد الناصر كان يتلقى تقارير كثيرة حول مؤامرات اغتيال ولا يلتفت إليها،

ولكن بوجود أوفقير، ومع تصاعد حرب الاستنزاف ووجود مشروع روجرز الذي قدم في أوائل ديسمبر ورفضته اسرائيل والتواجد اليهودي الكبير في المغرب، وبدا أن لهذا التقرير بعض المصداقية، أو على الأقل له أصل.

في هذا الوقت لم يكن هناك نائب لرئيس الجمهورية. في الطائرة ونحن في الطريق للدار البيضاء، وكنت في مكاني كالمعتاد طبقاً للبروتوكول استدعاني عبد الناصر كعادته وجلست إلى جواره نتناقش في بعض الموضوعات. قال لي عبد الناصر هل تعرف ما قمت به اليوم. أجبته بلا.. فقال «حلفت أنور اليمين اليوم كنائب لرئيس الجمهورية» استغربت وسألته عن السبب فأعطاني التقرير الأمني وقرأته وقال إنه في ظل الظروف الدقيقة لا يريد أن يترك شيئاً للصدفة، على الأقل لكي يضمن أن يتم انتقال السلطة ـ لو حدث شيء في المغرب ـ بطريقة طبيعية. رئيس موجود لمدة ٦٠ يوماً، ومؤسسات الدولة تختار من تريد ويطرح اسمه في الاستفتاء. في هذا الوقت لم يكن باقياً إلى جوار عبد الناصر من أعضاء مجلس الثورة السابقين إلا اثنان معه في السلطة، وعبد الناصر يعطي لقضية الأقدمية في المجلس اعتباراً كبيراً، وكان السادات هو الوحيد الذي لم يشغل منصب نائب رئيس الجمهورية، وكان قد أبعد عن رئاسة مجلس الشعب، فالرئيس عبد الناصر وجدها فرصة معقولة أن يختاره نائب رئيس جمهورية لمدة ٤ أو ٥ أيام، وهي المدة التي سيغيبها في المغرب.. وكانت هذه هي المصادفة الأولى.. بعدها حدثت مجموعة مصادفات أخرى..

المؤتمر طال أكثر مما كان مقدراً له، وعاد عبد الناصر من المغرب إلى ليبيا. وأثناء وجوده هناك وقعت عملية سرقة الرادار في الزعفرانة والعين السخنة. وطرحت بقوة قضية الدفاع الجوي وما به من ثغرات خطيرة وقرر عبد الناصر ضرورة الاتصال بالسوفييت لحسم هذا الموضوع. وعاد عبد الناصر للقاهرة وموضوع الدفاع الجوي له الأولوية عن أي قضية أخرى. وتقررت الزيارة السرية لموسكو. وفي موسكو حصل اتفاق خطير على تكثيف الوجود السوفييتي، سأعود له بعد قليل. المهم الأمور سارت مساراً مختلفاً تماماً ونسي الكل موضوع نائب رئيس الجمهورية، ثم أعيد بحثه ضمن قرار عبد الناصر بإعادة تنظيم الدولة. وكل أعضاء مجلس الوزراء

يتذكرون أن عبد الناصر في آخر جلسة للمجلس حضرها عبد الناصر بعد الصيف طرح موضوع تنشيط العمل الداخلي وعبر عن عدم رضائه عن الأحوال، وقال إن الأمر يقتضي تغييرات كبيرة في تركيبة الحكم. ولقد كنت أعرف هذه التغييرات أو بعضها على الأقل ولم يكن هناك نية لترشيح أحد ليكون نائباً لرئيس الجمهورية، لا السادات ولا غيره.. كانت هناك وزارة جديدة.. في سبتمبر انقلبت الصورة ورحل جمال عبد الناصر..

إذن المصادفة وحدها هي التي أبقت السادات في هذا الموقع الى حين وفاة عبد الناصر طبعاً هذا ليس تقييماً للسادات أو رأياً فيه. فهذا موضوع آخر، ولكن ما أؤكد عليه أن وجوده في موقع نائب رئيس الجمهورية كان مجرد مصادفة.

نأتي لقضية مبادرة روجرز، ومن وجهة نظري فهو موضوع غاية في الأهمية، وهناك لبس غريب حوله شارك فيه الرئيس السادات.

ولكي نفهم موضوع مبادرة روجرز وقبول عبد الناصر لها، لا بد من فهم تطورات الأحداث والسيناريو الذي أدى الى المبادرة وقبولها.

بعد هزيمة ٦٧ بدأت جهود ضخمة لاعادة البناء العسكري. في نوفمبر ١٩٦٧ استكملت قواك الدفاعية بتعويض السوفييت للأسلحة ودورهم في القوات المسلحة والتخطيط الجديد وقيادة عبد المنعم رياض.. في نوفمبر وبعد أن تأكدت من قدراتك الدفاعية وصعوبة اختراق خطوطك الدفاعية وقبولك للقرار رقم ٢٤٢ دخلت في مخاطر محسوبة. تبادل التراشق المدفعي، العمليات البحرية، عملية إغراق ايلات، عمليات العبور المحدودة. عمليات الفدائيين، الوحدات الخاصة داخل سيناء إلى أن وصلت للعبور بكتيبة كاملة. هذه العمليات المتضاعفة يجمع الخبراء العسكريون أنها كانت التمهيد لعملية العبور الكاملة.

في هذا الوقت كان شاغل عبد الناصر الوحيد تقريباً هو القوات المسلحة. أول شيء عمله بعد ٦٧، هو معرفة ماذا حدث بالتفصيل، حضر بنفسه ومعه كل قادة الأسلحة بالقوات المسلحة وبعض القيادات السياسية جلسات التحقيق فيما حدث كاملة، واستمع الى تسجيلات صوتية لكل المؤتمرات والأحاديث الصحفية لكل

القادة العسكريين الذين أفقدهم النصر كل سيطرة على أقوالهم، فتكلموا عن تفاصيل كثيرة مما جرى.

كذلك فإن عبد الناصر بعد موقف الجماهير في ٩ و ١٠ يونية، استمر في السلطة وهو يعلم أنه مفوض تفويضاً محدداً وليس تفويضاً مفتوحاً كما كان الحال قبل ٦٧. كان تفويضاً لإزالة آثار العدوان والتوسع في مجال الديمقراطية قدر الامكان، وقد وضع القضيتين في بيان ٣٠ مارس، اعتبر عبد الناصر أن بقاءه لا قيمة له ما لم يقم بدوره في تصحيح ما حدث عام ٦٧.

كانت وجهة نظر عبد الناصر أن صوت طلقات المدافع يجب أن لا يتوقف أبداً بالنسبة للشعب المصري، أو الأمة العربية أو العالم كله، لكي يدرك الجميع أن هنا قضية ساخنة لم تبرد. وكان «تسخين» الجبهة يتم طبقاً لتزايد قدرات القوات المسلحة المصرية. وقد خسرنا كثيراً في حرب الاستنزاف، لكن اسرائيل خسرت أكثر، لدرجة أن كل مراكز الأبحاث الاسرائيلية تعتبر حرب الاستنزاف حرباً رابعة أو حرب أكتوبر هي الحرب الخامسة.

في مواجهة التصعيد المصري وازدياد القوة الدفاعية وازدياد خسائر العدو، انتهزت اسرائيل وجود ثغرات في الدفاع الجوي وبدأت غارات العمق كوسيلة للرد على معارك الجبهة.

سافر عبد الناصر الى موسكو، وكنت معه، في زيارة سرية بعد سرقة الرادار وطرح القضية بصورة واضحة.. كان الموقف الاستراتيجي يتلخص في وجود قوتين محليتين.. مصر واسرائيل.. وقوتين دوليتين.. الاتحاد السوفييتي وأمريكا.. كل منهم يساند طرفاً.. وكان عبد الناصر يخشى من تدفق المساعدات الأمريكية على اسرائيل وهو مقدم على صدام معها.. وكان أمامه مشكلتان: أولاً استكمال بعض نواحي الضعف في الدفاع الجوي أساساً، ثانياً كيف يتجنب تدخلاً أمريكياً يغير موازين القوى في المنطقة.. وكان هذا جدول أعماله في موسكو.. طلب عبد الناصر صواريخ سام ٦ لمواجهة التسلل الاسرائيلي بالطيران المنخفض، حيث أن صواريخ سام ٢ تتصدى للطائرات على ارتفاعات تبدأ من ١٥٠٠ إلى

٢٠٠٠ كيلو متر ولم يكن الاتحاد السوفييتي قد أعطى أي دولة خارجية صواريخ سام ٦. وافق السوفييت على طلب عبد الناصر. ولكن تدريب الأطقم كان يحتاج من ستة إلى تسعة أشهر، وكان لا بد من سفر أطقم الدفاع الجوي المصري للتدريب في الاتحاد السوفييتي، ثم يعودون مع السلاح الجديد. لم يكن ممكناً الاقتراب من أطقم الدفاع الجوي في الجبهة.

لقد أقيم حائط الصواريخ في قناة السويس بتضحيات بشرية هائلة، كانت اقامته ملحمة بكل معنى الكلمة. أي أن المطلوب سحب أفراد من قوات العمق، وتركه خالياً. . عبد الناصر طلب من الاتحاد السوفييتي أن تتولى أطقم سوفييتية حماية العمق خلال فترة تدريب المصريين. بعد جهد قبل السوفييت وأنا أعتقد أن هذا الموقف من أحسن وأهم مواقف الاتحاد السوفييتي إلى جانبنا، لأن هذا القرار يعني تواجد قوات سوفييتية في مصر، قوات تتحمل مسؤوليات قتالية، صحيح أنها مسؤوليات بعيدة عن الجبهة وفي العمق، ولكنها تتضمن وجود قوات جوية في مطار جاناكليس بالتحديد، ثم بطاريات العمق لحماية المدن الكبرى مثل القاهرة ومنشآت الرأي الهامة. . السوفييت عندما وافقوا على طلب عبد الناصر، كانوا يعلمون أنهم يتخذون خطوة بالغة الخطورة.

من جانب مصر، عبد الناصر كان يريد هذه الخطوة تماماً، لأنها ترفع مستوى المواجهة بين القوتين المحليتين، إلى مستوى توتر بين القوتين الكبيرتين. . وكان يعتقد أن هذا التوتر مع تصعيد حرب الاستنزاف، يمكن أن يشكل قوة ضغط للوصول إلى حل سياسي وهو النهاية المنطقية لأي عمل عسكري. . وأرجو أن أكون واضحاً، كان الهدف من أجل الوصول الى حل سياسي وليس حلاً دبلوماسياً. .

وبالفعل سافر ١٨٠٠ من أفراد الدفاع الجوي الى الاتحاد السوفييتي ووصلت وحدات الدفاع الجوي السوفييتية وتوتر الموقف بين الدولتين الكبيرتين. . في هذا المناخ جاءت مبادرة روجرز. أن مصر هي التي دعت الى هذه المبادرة، كجزء من الحوار المستمر. . تصعيد حرب الاستنزاف، ثم التواجد السوفييتي الذي جاء نتيجة

قرار خطير لم يسبق أن أقدم السوفييت على مثله، توتر الموقف وبدأ الاسرائيليون يجهرون بالشكوى من الخسائر في جبهة القناة. .

واهتمت أمريكا فأرسلت بعثة الى مصر في ابريل برئاسة «جوزيف سيسكو» وأصبح واضحاً أن الأمريكيين أحسوا بخطورة الموقف. . وقف جمال عبد الناصر في أول مايو ووجه خطاباً لنيكسون لأول مرة، دعا فيه أمريكا أن توقف على الأقل المساعدات لاسرائيل إذا كانت حقاً تريد سلماً حقيقياً في المنطقة والا فسنعتبر أمريكا شريكاً في استمرار احتلال الأراضي العربية. نيكسون رد برسالة على خطاب عبد الناصر تتضمن مبادرة روجرز التي تنص على وقف اطلاق النار لمدة ٣ أشهر، ويبدأ يارنج مباحثات بين الأطراف لتحقيق الانسحاب. كانت أول مرة ترد كلمة الانسحاب وبوضوح. إذن مبادرة روجرز كانت مطلوبة من مصر.

وصلت المبادرة الى مصر وكان عبد الناصر في طرابلس يحضر احتفالات الجلاء عن قاعدة هويلس. أخطرنا عند وصولنا إلى بنغازي بالرسالة الأمريكية وطلب عبد الناصر إرسالها إليه في بنغازي. في القاهرة السادات لم يكن على علم بهذه الخطوات وبالحوار المستمر ولكنه كنائب رئيس أخطر بالرسالة الأمريكية قرأها وتصور أنها سترفض. فأعلن في اجتماع اللجنة السياسية أن مصر لن تقبل هذا الكلام.

بمجرد وصول الرسالة الأميركية لعبد الناصر في ليبيا، كان واضحاً أن هذا رد على ما قالته مصر. قد لا يكون رداً مقبولاً، ولكنه جزء من عملية حوار مستمرة. وقرر عبد الناصر وهو في بنغازي قبول مبادرة روجرز كأساس يمكن تطويره. . في نفس الوقت وقبل أن يسافر عبد الناصر إلى بنغازي أو بعد أن اطمأن لحماية العمق وللوجود السوفييتي وقع الخطة «جرانيت ١» والتي تقضي بأن تعبر خمس فرق مصرية من الشرق الى الغرب على خمس محاور مختلفة وتتمسك برؤوس الكباري الخمسة. وكذا ننتظر وصول ممدات من الاتجاه السوفييتي لتنفيذ الخطة. . إذن *الحوار مستمر بكافة صوره. . وسافر عبد الناصر الى الاتجاه السوفييتي*

لقد كنت طوال هذه الفترة الى جوار عبد الناصر. وحضرت معه المباحثات في

الاتحاد السوفييتي كوزير للاعلام وضمن أعضاء الوفد المصري. والذين قالوا إن عبد الناصر قبل مبادرة روجرز في موسكو تحت ضغط السوفييت، لم يقولوا إلا هراء.. كل الوفد المصري كان يعلم ونحن في الطريق الى موسكو أن مصر قبلت مبادرة روجرز. وإنما ننسق مواقفنا مع السوفييت. وأتذكر أن بريجينيف قال للرئيس عبد الناصر بعد أن شرح الموقف السياسي وأبلغ السوفييت قبول مصر لمبادرة روجرز.. سأله بريجينيف هل تقبل المبادرة وهي مقدمة من أمريكا.. كان بريجينيف يتصور أنه طالما أن يارنج هو الذي سيقوم بالمباحثات فلا تقبل إلا وعليها علم الأمم المتحدة.. رد الرئيس قائلاً أنه سيقبل المبادرة وعليها علم أمريكا، لأنه سيأخذها كالتزام أمريكي.

تبقى نقطة أخيرة في سؤالك وهي الخاصة بعلاقات عبد الناصر بالسوفييت والأمريكان عبد الناصر كان يمارس ما ينادي به تماماً، وهو فعلاً كان راغباً في علاقات غير منحازة، ولكنه كأي انسان عاقل غير منحاز، يميز بين من يساعده ومن يساعد عدوه، وإلا فإن الأمر يتحول من عدم انحياز الى بلاغة عدم الانحياز ليس موقفاً في فراغ.. وإنما هو موقف تقرر فيه وبدون التزام مسبق ما تراه متفقاً مع مبادئك ومصالحك والموقع المستقل.. وعلى ضوء من يصادقك ومن يصادق أعداءك.

لقد بدا عبد الناصر راغباً في علاقة معقولة مع الأمريكان.. في ١٩٥٢ كانت انجلترا هي القوة الاستعمارية التي نعرفها وكذلك فرنسا، ولم نكن نعرف الاتحاد السوفييتي الذي كان مشغولاً بالداخل في ظل ستالين وصورته غير مشجعة وبعيداً عن شؤون الشرق الأوسط وبدا الأمريكيون وهم القادرون على القيام بدور، ويمكن التفاهم معهم كقوة دولية. وكانت تجربة مريرة.. لقد ساعد الأمريكيون اسرائيل ووقف السوفييت معنا.. وعلى هذا الأساس مارس عبد الناصر سياسة عدم الانحياز..

هذه قصة طرد الخبراء السوفييت من مصر (٣)

في هذه الحلقة الثالثة والاخيرة يذيع محمد حسنين هيكل سر قرار السادات بطرد الخبراء السوفييت من مصر تحت الضغوط العربية وبوهم أن هذا القرار سيدفع أمريكا للضغط على اسرائيل وبالتالي يتجنب اتخاذ قرار بالحرب.. وبكشف الستار عن اتفاق مصري سوفييتي منذ عام ٧٠ على سحب الخبراء السوفييت قبل بدء المعركة..

كما يتحدث هيكل عن الحرب العالمية الثالثة المشتعلة بين امريكا والاتحاد السوفييتي والاساليب الجديدة للصراع.. والتطورات داخل القيادة السوفييتية وتوقعاته للمبادرات الجديدة تحت قيادة أندروبوف.

ويعارض هيكل بشدة الدعوة لاعتراف منظمة التحرير الفلسطينية باسرائيل. مؤكداً ان هناك فرقاً بين الثورة والدولة.. ويؤكد أن العالم العربي سيشهد أهوالاً في هذه الحقبة الجديدة التي بدأت بعد بيروت ويسميها «الحقبة الاسرائيلية». الى غير ذلك من الآراء والاخبار الهامة.. ولنقرأ معاً ما قاله هيكل..

● جريدة الأهالى ـ ١٩٨٢/١٢/١٥

● بعض المحللين يعتبرون تدخل السادات في السودان لمساندة نميري ضد انقلاب «هاشم العطا».. وطرد الخبراء السوفييت من مصر.. بداية التحول في حكم السادات.. وهنا يثور سؤال هام.

لقد نشرت في الأهرام سلسلة من المقالات حول العلاقات مع الاتحاد السوفييتي قبل طرد الخبراء السوفييت مباشرة.. بدت وكأنها تمهيد لهذا القرار..

ما هي الحقيقة في هذا الموضوع..؟

■ هناك دائماً سياق أو مجرى أساسي لحركة التاريخ، وهناك تفريعات صغيرة لا ترقى إلى مستوى التأثير في التاريخ..

اعتقد أن هناك من يعطي انقلاب هاشم العطا أكثر من قيمته الحقيقية. ومهما كانت وجهة نظرنا في هذا الانقلاب، أو آراء ومواقف القائمين به، فهو ليس إلا انقلاب عسكري بالطريقة التقليدية، وعلى الاصح محاولة غير مكتملة لانقلاب عسكري..

اما بالنسبة لطرد الخبراء السوفييت فالامر يختلف. ويمكن القول إن هذا القرار نقطة تحول في سياسة السادات.. قبل عام ١٩٧٠ لم يكن عدد الخبراء العسكريين السوفييت يتجاوز ٣٠٠٠ أو ٤٠٠٠ عندما وافق الاتحاد السوفييتي بعد زيارة موسكو السرية على تكثيف وجوده، وتولى مسؤولية الدفاع الجوي في العمق المصري، وبدأنا في التدريب على الأسلحة الجديدة، ودخلنا في هذا التطور العسكري والدولي الهام، اشترط الاتحاد السوفييتي شرطاً هاماً جداً، وهو يقبل طلب عبد الناصر زيادة التواجد السوفييتي في مصر خلال فترة تدريب أطقم الدفاع الجوي المصرية على الأسلحة الجديدة في الاتحاد السوفييتي، وتولى السوفييت

مسؤولية الدفاع الجوي عن العمق، هذا الشرط. . هو أن يسحب «جميع» خبرائه من مصر قبل أن تبدأ المعركة. وكانت وجهة نظر السوفييت والتي وافقت مصر عليها، أن وجود خبراء سوفييت في مصر اثناء المعركة، له سلبيتان. .

الاولى. . أن هذا الوجود يحرم القوات المصرية من حقها المطلق في ثمار معركتها.

الثانية. . تخلق تعقيدات دولية لا قبل لاحد بها، وتعطي الولايات المتحدة الامريكية ذريعه لارسال قوات امريكية مقاتلة إلى اسرائيل تحت دعوى أنهم خبراء.

إذن منذ البداية كان متفقاً أن مصر لن تحارب وفي جيشها خبراء من الاتحاد السوفييتي. وكان عدد هؤلاء الخبراء قد ازداد خلال أعوام ٧١، ٧٢. . والسادات كان يعرف بهذا الاتفاق، على الاقل بعد توليه الحكم، وكان يعرف بكل الشروط التي تنظم وجود الخبراء السوفييت.

اذا افترضنا أن الرئيس السادات قرر دخول معركة أو يريد تطبيقاً للاتفاق السابق بين السوفييت وعبد الناصر، أن يسحب الاتحاد السوفييتي الخبراء من مصر. . كان يستطيع في هدوء ودون ضجيج أن يبلغ السوفييت بما يشاء ويطلب منهم تنفيذ الاتفاق أو الشرط الذي وضعوه هم لزيادة عدد الخبراء منذ عام ١٩٧٠ فهو أمر متفق عليه. . أما أن يتم الامر باسلوب الطرد وما صاحبه من ضجيج، هنا يصبح الامر كله محلاً للتساؤل. .

وما حدث أن اطرافاً «عربية» كانت تؤكد للرئيس السادات أن الامريكيين مستعدون للعب دور اساسي في حل المشكلة دون معركة، والضغط على اسرائيل، ولكنهم لن يقتربوا من القضية طالما كان هناك خبراء سوفييت في مصر واسلحة سوفيتية. .

وأما السادات لم يكن يريد معركة عسكرية وكان يحاول تجنبها قدر المستطاع. ولا اعتقد أن احداً يلومه في ذلك. فالحرب خيار صعب وخطير. وكان الله في عون أي حاكم أو أي زعيم يجد نفسه أمام اتخاذ قرار يتعلق بالحرب، ومن حقه أن يحاول تفاديه قدر المستطاع. .

طوال عامي ٧١، ٧٢ وأطراف عربية تلح على الرئيس لاخراج السوفييت لكي

تتحرك امريكا وتضغط على اسرائيل. لقد قلت دائماً أن هناك دوراً للامريكيين في المنطقة، لكن هذا الدور يتم بتحييد أمريكا وبموقف يفرض عليهم.. بتحالفاتنا الدولية. وتحالفاتنا العربية، وبجبهة عربية متراصة، وبعمل عسكري، وبالاسلحة العربية الاخرى كالبترول.. يمكن ان تفرض على الولايات المتحدة الامريكية موقف التحييد وليس موقف الحياد، لأن امريكا لا يمكن أن تكون محايدة بيننا وبين اسرائيل..

المهم اقتنع السادات بالالحاح العربي، وقرر اخراج الخبراء السوفييت وأن يخرجهم مطرودين، وبقرار يتخذه هو شخصياً..

الأطراف العربية التي كانت تنصحه باخراج السوفييت، فوجئت بالتوقيت. هنري كيسنجر وزير الخارجية الامريكي، قال أنه فوجيء أيضاً، وأن السادات لو طلب من امريكا مقابلاً ليتعد هذا القرار لكانت امريكا على استعداد..

ولكن السادات أراد القرار على هذه الصورة اندرامية وأن يتخذه بنفسه، متصوراً أنه بهذا يجعل الامريكيين ممتنين له ولجميله فيمارسون الضغط على اسرائيل، ويصبح في غنى عن اتخاذ قرار الحرب..

ولكن شيئاً من ذلك لم يحدث..

نأتي لموضوع مقالاتي عن الاتحاد السوفييتي والصلة المزعومة بينها وبين هذا القرار الذي عارضته، وعارضت الطريقة التي تم بها.

هذه المقالات لم تكن لها أي علاقة على الاطلاق بقرار طرد الخبراء السوفييت..

لقد انتقدت دائماً وما زلت انتقد بعض مواقف الاتحاد السوفييتي. وبصفة خاصة موقف التباطؤالسوفييتي. فالسوفييت ينظرون للتطورات في العالم نظرة تاريخية، وهي نظرة قد تكون صحيحة، لكن هناك دائماً اعتبارات تكتيكية ترغمك في بعض الأحيان على تجاوز انتظار التطورات التاريخية والاقدام على خطوات حديثة تتطلبها الاحداث. وأنا اعتقد أن سياسة الحذر التي التزم الاتحاد السوفييتي أكثر مما يجب، أدت إلى ضياع دوره في الشرق الأوسط وجعلته طرفاً غائباً عن أزمة الشرق الأوسط حتى الآن.

في هذه الفترة التي سبقت قرار السادات بطرد الخبراء السوفييت، بدأت في نقد

السياسة السوفييتية من بعض الزوايا. كان هناك تباطؤ في تعويض بعض الأسلحة وتوريد البعض الآخر خصوصاً وأن جزءاً كبيراً منها كانت ضمن الاتفاق الذي تم مع عبد الناصر في زيارته عام ٧٠، مثل استكمال بطاريات الصواريخ في الصعيد. ولقد عارضت استئناف العمليات العسكرية بعد وفاة عبد الناصر نتيجة لعدم استكمال بطاريات الصعيد. ومن هنا أيضاً انتقدت تباطؤ الاتحاد السوفييتي وقلت أن هناك من يستفيد من حالة اللاسلم واللاحرب. الطريف أن الرئيس السادات عارضني في هذه المقالات بشدة.. وطلبني لمقابلته اثناء كتابتها، ذهبت إليه وكان ممدوح سالم يقابله قبل وصولي.. قال لي السادات مقالاتك تحرجني مع السوفييت.. والاتحاد السوفييتي صديقي الوحيد.. أجبته قائلاً.. لن اناقشك في التفاصيل، ولكن عندما يقول أي انسان أنه ليس عنده الا صديق وحيد، فهذه كارثة، ومعناه أنه في مأزق. وإذا كنت «زعلان» من هذه السلسلة من المقالات، فأنا على استعداد أن لا اكملها ولكن لن اكتب غيرها وساترك العمل.

على ما أذكر كان في مصر في ذلك الوقت مسؤول سوفييتي، وقال للرئيس إن هيكل يسمم العلاقات المصرية السوفييتية..

في يوم الجمعة ٧ يوليو، كنت في الاسكندرية وفوجئت بمن يلحق بي وطلبني الرئيس السادات تليفونياً.. وتصورت أنه مستاء من مقالتي في ذلك اليوم «الجمعة» وكانت أشد مقالة في سلسلة المقالات الخاصة بالاتحاد السوفييتي.. المهم تحدثت في التليفون وسألني متى تعود إلى القاهرة. وكنت قد وصلت الخميس واعتزم العودة الاحد.. سألته إذا كان هناك شيء هام.. قال أيوه وأريدك أن تتناول معي العشاء يوم الاثنين.. حاولت أعرف الموضوع.. ولكنه قال خلص إجازتك ونتقابل الاثنين.

كان السادات قد مر على الدكتور محمود فوزي في البدرشين يوم ٦، وقال له إنه سيبلغ السفير السوفييتي يوم السبت بعدة اشياء، في مقدمتها قراره بطرد الخبراء السوفييت وضرورة مغادرتهم مصر خلال عشرة أيام، ناقشه الدكتور فوزي واقترح عليه أن يعكس الاولويات ويفتح باب المناقشة ولا داعي لموضوع الطرد وإنما يجعل القضية موضوع مفاوضات، وطرح الدكتور فوزي بعض التخوفات حول امدادات الأسلحة.

في يوم الجمعة ـ نفس يوم اتصاله بي ـ استدعى الفريق محمد صادق وطلب منه أن يصلي الجمعة معه . . وقال السادات لصادق ـ وكان يعرف أن هناك موقفاً من صادق مع السوفييت ـ . . «حاقولك خبر يخليك تضحك من ودنك دي إلى ودنك دي . . » واخبره بقرار طرد الخبراء السوفييت . . الفريق صادق ذهل وسأله وحنعمل ايه في امدادات الأسلحة .

في اليوم التالي استدعى السفير السوفييتي وابلغه في حضور «حافظ اسماعيل» بقراره . قابلت الرئيس يوم الاثنين ، ولم تكن عندي أي فكرة عن كل ما حدث . . أول ما التقينا . . أبديت استعدادي إذا كان معارضاً لمقالاتي ، أن أتوقف عن كتابتها وبالطبع لن أكتب غيرها ، وإنما سأتوقف عن الكتابة تماماً . . قال الرئيس «بتتكلم تقول ايه . . دي فضيحة . . أكبر صحفي في الشرق الأوسط المخبر العظيم اللي بيعرف كل حاجة . . مش عارف ما يجري في بلده . . مش عارف أخطر قرار» . . سألته . . ايه أخطر قرار . . فقال «طردت الخبراء السوفييت ، جبت السفير وقلت له بره . . » .

تحدثنا في الموضوع ، واخبرته انه لا مانع من خروج الخبراء السوفييت إذا كان يرى أن الوقت قد حان ، خاصة وأن هناك اتفاقاً معهم على ذلك . . ولكن الاسلوب الذي تم به الامر غير مفهوم . . أولاً . . تحديد عشرة أيام لخروجهم . . ثانياً تحويل الامر إلى طرد وتوتر في العلاقات ، واستجابة لضغوط خارجية . . بينما سلاحنا سلاح سوفييتي . .

إذن لم يكن هناك علاقة بين مقالاتي التي انتقدت التباطؤ السوفييتي ، وقرار السادات ، وقد هاجمت هذا القرار ، وقلت في «الأهرام» «إنه قرار غير مدروس وحتى لو كان مدروساً . فقد تم تنفيذه بطريقة درامية » في قضية لا تسمح بالتصرفات المسرحية .

● هل تتوقع من خلال معرفتك بالسياسة السوفييتية والقيادة الجديدة هناك، حدوث تغير في العلاقات السوفييتية الامريكية؟

وأهم من ذلك ما هي توقعاتك بالنسبة لدور الاتحاد السوفييتي تحت قيادة «يوري اندروبوف» ـ واعتقد أنك تعرفه شخصياً ـ في الشرق الاوسط وبالنسبة للعلاقات المصرية السوفييتية؟

■ لا بد من التسليم بأن السياسة السوفييتية اتسمت في الفترة الماضية بنوع من الجمود، ويعود هذا من وجه نظري لاسباب مختلفة متعددة..

الاتحاد السوفييتي ـ كما قلت سابقاً ـ أكثر بلد استنزف في العالم. حوصر منذ البداية وتعرض لحروب عديدة، وفي عهد ستالين اتخذ قرار بتطبيق الاشتراكية في بلد واحد، ودفع الشعب السوفييتي ثمناً رهيباً لتحقيق ذلك، ونجح في اقامة الصناعة الثقيلة.. في الحرب العالمية الثانية دمرت صناعاته الثقيلة، وقتل ٢٠ أو ٢٢ مليون من الشعب السوفييتي، ودمرت قرى ومدن كاملة. كانت حرب إبادة فعلاً. وبدأ الاتحاد السوفييتي بعد الحرب في البناء من جديد، في ظل الحرب الباردة، وأوضاع دولية متوترة، وسباق تسلح رهيب..

أضيف إلى هذا كله نمو حركة التحرر الوطني، وطلبها المساعدة من الاتحاد السوفييتي، الذي ساعدها بالفعل..

ويجب أن لا ننسى أن الاتحادالسوفييتي لم يكن طرفاً في عملية التوسع والنهب الاستعماري التي مارسها الغرب. بعض الدراسين يتحدثون عن توسع روسيا إلى المحيط الهادي، ولكن هذا كله تم في ظروف تسمح طبيعياً بذلك كما حدث توسع امريكا من الشرق إلى الغرب.. ويختلف تماماً عما حدث خلال القرن التاسع عشر، والتي كانت عملية استعمار واستغلال بالمفهوم التقليدي للاستعمار.. فالاتحاد السوفييتي لم يشارك في الاستعمار القديم ولا هو طرف في الاستعمار الجديد.

كان على الاتحادالسوفييتي بعد الحرب العالمية الثانية، أن يبني نفسه، ويحتفظ بطاقته كاملة للدفاع عن نفسه، وعن نطاق الدفاع المحيطبه سواء الصين أو دول أوربا الشرقية، وأن يقدم المساعدات لحركة التحرر الوطني.

بعد ستالين ووصول خروشوف للسلطة، حاول أن يقفز فوق هذا كله.. التوازن النووي حقق نوعاً من الحدود الثابتة بين الاتحاد السوفييتي وامريكا في بعض المواقع مثل أوروبا، كان الامن الأوروبي قضية هامة بين الطرفين، وتم تثبيت الموقف في مؤتمر جنيف عام ١٩٥٥ ولكن ظلت هناك مواقع اخرى يدور فيها الصراع..

بعد التوازن النووي، أصبحت الحرب مستحيلة نتيجة لتطور الصواريخ،

واهم من هذا القدرة على التحرك /Mobility التـي اكتسبتها الصواريخ عندما زودت بها الغواصات، امريكا أو الاتحاد السوفييتي كان يستطيع بوسائل التـدقيق الحديثة أن يحدد قواعد الصـواريخ عنـد الطـرف الآخر ويدمرهـا. . لكن هذه الصواريخ المحمولة في الغواصات وتدور في البحر لا تستطيع أن تحدد مواقعها دائماً بسهولة. بالاضافة لعنصر القدرة على التحرك، أضيف عنصر الاخفاء بالنسبة للغواصات أيضاً. على سبيل المثال، أي غواصة حديثة تستطيع أن تحمل صواريخ قادرة على تدمير حوالي ٣٤ أو ٣٦ موقعاً حيوياً في أمريكا أو الاتحاد السوفييتي. وفي الدراسات الاخيرة والسيناريوهات المتخيلة للحرب. ثبت أن الطرف الذي سيبدأ بتوجيه الضربة الاولى سيفقد الطرف الآخر ١٣٢ مليون انسان، والطرف الذي سيرد الضربة سيفقد الخصم أيضاً نفس العدد. تكاليف الحرب اصبحت رهيبة وبالتالي ظهرت اساليب جديدة في ادارة الصراع.

في هذا الصراع، النموذج الامريكي يمثـل إغراء شديداً لكل المجتمعـات، الامريكيون لم يصنعوا حضارة، ولـكن صنعـوا نمطـاً للحياة. . أصبـح للاسف الشديد نموذجاً لدول كثيرة. .

عندما تكون قضية التنمية هي القضية المطروحة، الاتحادالسوفييتي يستطيع أن يلعب دوراً هاماً ويساعد الدول على تحقيق التنمية. . ولكن عندما يكون المطروح شيئاً آخر، نمطاً للحياة، فالنموذج الامريكي يغري كثيرين ويجذبهم اليه.

مع استحالة الحرب الساخنة، اصبح الامريكيون اكثر حركة. جروا الاتحـاد السوفييتي إلى سباق سلاح «يقطع النفس» انفق السوفييت في العام الماضي علـى الاسلحـة ٣٠٠ بليون دولار. . الامـريكيون قادرون علـى هذا الانفـاق وأكثـر، وقادرون أيضاً على أن يدمروا الاقتصاد العالمي كله ومع الاسف سيدمرون انفسهم أيضاً. . طرحوا في العالم كله «اليورو دولارز». . ببساطة امريكا تقترض من العالم ٢ ترليون (أي ٢٠٠٠ بليون) دولار. . «اليورو دولارز» أوراق نقد تعطيها أمريكا بضمانها هي، أي اقتراض دون مقابل، امريكا في الواقع تخرب النظـام النقـدي العالمي السوفييت ليس لهم قدرة على التأثير في النظـام الاقتصـادي العالمـي. . امريكا تأخذ أيضاً فوائض اموال بترول العرب. .

للأسف الشديد السوفييت في الصراع الدائر الآن غير قادرين على منافسة امريكا. . في وقت التحرر الوطني والتنمية المستقلة، كان من الممكن أن نطلب من الاتحاد السوفييتي بناء السد العالي، التصنيع وكان قادراً على الاستجابة والتحقيق. . الآن القضايا اختلفت خصوصاً في الشرق الاوسط. . أموال البترول كسرت كل أحلام التنمية القديمة (رغم صحتها). . المنطقة كلها غارقة في أموال البترول بما في ذلك تناقضاتها الاجتماعية. . صحيح أنها ظاهرة وقتية ولكنها سائدة. .

صادف هذه الظاهرة أن الاتحادالسوفييتي كان يمر بمرحلة انتقال في القيادة. . نتيجة لظروف عديدة، أصبحت بيروقراطية الحزب هي السائدة حتى أعلى المستويات في الاتحاد السوفييتي. . واعتقد أنه أمر يلفت النظر أن بريجنيف ظل يحكم الاتحاد السوفييتي ١٨ عاماً متواصلة، واجهه خلالها في امريكا حوالي ٥ رؤساء جمهورية، وجروميكو ظل وزيراً للخارجية ٣٠ عاماً حتى الآن، واجهه خلالها ١٠ وزراء خارجية في امريكا، وكل منهم له طقم جديد، ولكل رئيس مستشار للامن القومي، أي أن هناك فكراً متجدداً دائماً في امريكا بينما الاتحاد السوفييتي يبدو وكأنه لا جديد. من المؤكد أن هناك جديداً داخل اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفييتي،لكن لا أحد يعلم عنه شيئاً. . بينما كل ما يحدث في امريكا، مطروح ويجذب اليه الانتباه ويؤثر. . عملية التأثير الثقافي على العالم كله، خاصة العالم الثالث خطيرة من ناحية امريكا. . مثلاً أي انسان هنا مهتم بقضايا الامن الدولي والاستراتيجية، من أين يستقي معلوماته؟ أنا كقارىء لا أجد مركزاً سوفييتياً ينشر دراسات عن هذه القضايا اطلاقاً، بينما هناك عشرات المراكز والتقارير الامريكية تتناول كل شيء تقريباً. . فلنعترف أننا جميعاً نعتمد في الاستراتيجية، في الاقتصاد على الدراسات والتقارير التي تصدر من امريكا. . بينما لا نجد ورقة واحدة نعتمد عليها من الاتحادالسوفييتي. . هناك جمود في السياسة السوفييتية وتوقف. . ولو حسبنا متوسط عمر اهم مائه يؤثروا في القرار في امريكا والاتحادالسوفييتي، فسنجد أن متوسط السن في امريكا ٥١ ومتوسط عمر هؤلاء في الاتحاد السوفييتي ٦٩. . كيف يمكن أن تكون اكثر الدول الثورية في العالم محافظة إلى هذا الحد؟!

محصلة هذا كله، أن الحرب مستمرة بين امريكا والاتحادالسوفييتي، الحرب العالمية الثالثة تجري على قدم وساق. . امريكا تشد السوفييت إلى سباق تسلح رهيب، وتقدم نمطاً استهلاكياً للحياة لا يستطيع السوفييت مجاراته، وتقوم بمحاولة لعزل الاتحاد السوفييتي مستغلة جمود السياسة السوفييتية. .

الآن بعد وفاة بريجنيف وتولي اندروبوف زعامة الحزب هل هناك جديد؟. . اعتقد ذلك. فمنذ ٥ سنوات كتبت كتاباً نشر في العالم عن العلاقات العربية السوفييتية وقلت فيه إن هناك نجمين بارزين في الكريملين «مازاروف» و «اندروبوف» وأن خلافة بريجنيف تنحصر فيهما. مازاروف تدهورت صحته وخرج من الساحة، ولم يعد هناك نجم ساطع في سماء الاتحاد السوفييتي غير «أندروبوف». .

وأغرب ما يقال عن أندروبوف في صحافتنا أنه رجل مخابرات (ك. جي. بي.) أصبح زعيماً للاتحاد السوفييتي. . ولم اسمع في حياتي هراء مثل هذا الكلام. .

اندروبوف ليس ضابط شرطة أو مخابرات ترقى داخل الجهاز ثم أصبح رئيساً للدولة، ولكنه كلف من المكتب السياسي للحزب الشوعي السوفييتي بصفته رجلاً سياسياً مسؤولاً، بالاشراف على جهاز أمن الدولة في الداخل والخارج. تماماً مثل اختيار «هنري كيسنجر» في امريكا مستشاراً للامن القومي، وترأس لجنة الاربعين في البيت الابيض التي يعرض عليها كل التقارير، وتنظم وسائل جمع المعلومات وتحليلها واعطاء التقريرات والاشراف على «السي أي ايه» المخابرات المركزية الامريكية، إلى جانب العمليات السرية. . ونيكسون هو الذي اعطى تعليماته الصريحة عن طريق «كيسنجر» لاغتيال سلفادور اللندي رئيس جمهورية شيلي. . ولم يكن كيسنجر ـ كما نعرف جميعاً ـ ضابط شرطة أو ضابط مخابرات، وإنما رجل سياسي. .

لقد التقيت باندروبوف ٣ مرات منذ زمن طويل آخرها في يوليو ١٩٧٠ في أحد هذه اللقاءات كان جالساً ولم يفتح فمه بكلمة واحدة. كان يتابع مناقشة بين سوسلوف وبيني عن الصحافة، بعد أن قال الرئيس عبد الناصر، إن «الاهرام»

يحقق أرباحاً، فتساءل سوسلوف: كيف تكون من اهداف الثورة أن تحقق صحيفتها ربحاً؟ ودارت مناقشة بيني وبين سوسلوف عن طريق المترجم وكنت اتكلم بالانجليزية، ولاحظت أن اندروبوف يتابع المناقشة باهتمام ودون انتظار للترجمة.

في اللقاء الاخير، كنا نتكلم أندروبوف وأنا عن التغطية الاعلامية لموضوع التواجد السوفييتي للدفاع الجوي عن العمق في مصر زيارة موسكو عام ٧٠ عندما يعرف هذا الامر الخطير.

وفي اعتقادي أن الاتحاد السوفييتي تجاوز فترة الانتقال. لقد بدأت هذه المرحلة منذ ٥ سنوات عندما بدأ مرض بريجنيف، وبالتالي تم انجاز كل التوازنات الداخلية وتصفية قضية الخلافة وحسمها قبل موت بريجنيف. وقد لعب العسكريون دوراً هاماً في اختيار خليفة بريجنيف، لا أقصد بالعسكريين مارشالات الاتحاد السوفييتي ولكن أقصد الجيل الجديد من جنرالات الاتحاد السوفييتي الذين يعرفون علم الحرب الحديثة ومعنى الحرب النووية وحقائق العصر..

اذن بالنسبة لاندروبوف والسياسة السوفييتية في أول قيادته اتصور أن هناك مجموعة هامة من الحقائق الخصها فيما يلي:

١ ـ مشكلة فترة الانتقال قد حسمت.

٢ ـ إن الزعيم الجديد أكثر شباباً من بريجنيف، وعلى علاقة فهم عميق جداً لما يجري في العالم. لأنه بحكم وجوده على رأس جهاز أمن الدولة لفترة طويلة.. استطاع أن يطلع على صورة تفصيلية، وعلى تفاصيل التفاصيل لما يجري في العالم..

٣ ـ إن القضية لا تقف عند حدود المعلومات.. وإنما المعلومات تستند على حقائق العصر.

٤ ـ إن هناك نخبة جديدة في الاتحاد السوفييتي، تتمثل بالدرجة الأولى في «اوستينوف» أو البيروقراطية الجديدة في الحزب وجنرالات الاتحاد السوفييتي.. هذا الجيل أتصور أن لديه جديداً، ووعياً بحجم التحدي الذي يواجه الاتحاد السوفييتي.. ولديهم أيضاً حيوية جديدة.

مـن هـنا اتوقع نوعاً من المبادرات السوفييتية في الفترة القادمة، لاحت مقدماتها بالنسبة للعلاقة مع الصين، وممكن أن نشهد أيضاً تحركاً في افغانستان للخروج من المأذق الذي يواجهه الاتحاد السوفييتي هناك..

أتصور أيضاً جديداً في الشرق الأوسط. الاتحاد السوفييتي يرى بوضوح أنه خسر كثيراً في الشرق الأوسط، وأنه تقريباً ترك الشرق الأوسط لا لامريكا فحسب وإنما لاسرائيل أيضاً.. ويجب أن لا ننسى أن الشرق الأوسط منطقة مجاورة تماماً للاتحاد السوفييتي، وهناك مصالح كثيرة جداً له في المنطقة.. من هنا اتوقع تحركاً جديداً في المنطقة وتنشيطاً للسياسة السوفييتية.. كيف؟ هذا ما ستكشف عنه الاحداث..

أما بالنسبة للعلاقات المصرية السوفييتية، فوجهة نظري، أنه غير معقول أن لا يكون هناك سفير سوفييتي في مصر حتى الآن.. فهو أولاً أمر غير منطقي تماماً وثانياً لقد خرج السفير السوفييتي من مصر، ضمن «هوجة» سبتمبر ١٩٨١ أن المعتقلين في هذه «الهوجة» قد تم الافراج عنهم واظن أنه لا بد أيضاً أن «يفرج» عن السفير السوفييتي وأن تعود العلاقات المصرية السوفييتية إلى مستواها الطبيعي..

● كثير من الساسة المعلقين يتحدثون عن الهزيمة العربية الرابعة.. وعن التواطؤ العربي اثناء الغزو الاسرائيلي وبعده.

ما هو تقييمك لموقف الانظمة العربية والنظام المصري ومبادرة ريجان وقرارات مؤتمر فاس.. والالحاح على منظمة التحرير الفلسطينية للاعتراف باسرائيل بعد اخراجها من بيروت وتشتيت مقاتليها؟

وما هو الطريق لكسر هذه الحلقة الجهنمية من الهزائم العربية؟

■ ليس هذا سؤالاً واحداً، وإنما هو عشرات من الاسئلة في صياغة واحدة.

أريد أولاً أن أسألك عن هذا العدد الذي ذكرته للهزائم العربية؟ تقول إنها أربعة.. وأنا لا أعرف ما هي القاعدة التي تستند إليها؟

لقد دخلنا في ست مواجهات مسلحة أمام اسرائيل على مدى الثلاثين سنة الماضية.

سنة ١٩٤٨ دخلنا في مواجهة كان هدفنا فيها منع اقامتها. وقد هزمنا وقامت اسرائيل، وقامت ضمن نطاق أوسع من نطاق التقسيم.

دخلنا في مواجهة معها بعد ذلك سنة ١٩٥٦، ولم تكن المواجهة مع اسرائيل وحدها، وإنما كانت مع بريطانيا وفرنسا ومعهما اسرائيل. وأنا اعتقد ـ والعالم كله يعتقد ـ إلا قلة من الناس في مصر مع الاسف ـ أننا لم نهزم في هذه المواجهة، وإنما على العكس من ذلك تماماً. انتصرنا انتصاراً اعتبره اكمل انتصار استراتيجي في التاريخ العربي المعاصر.

نحن أحياناً لا نفرق بين القتال والحرب.

القتال شيء والحرب شيء آخر.

الحرب جهد سياسي شامل، وميدان القتال مجرد ميدان من ميادين يدور فيها صراع الارادات، وهو في الأساس صراع ارادات تحاول كل منها أن تنتزع جائزة الحرب لنفسها.

ولقد كانت معارك القتال سنة ١٩٥٦ محدودة، لأن القوات المصرية في سيناء لم تزد عن ست كتائب. لأن المجموعة الرئيسية لقواتنا لم تكن في سيناء. وإنما كانت غرب القناة في انتظار البريطانيين والفرنسيين. صدر إليها الأمر بالانسحاب حتى لا تنقطع خطوطها عن قاعدتها الاساسية في مصر. طلب إلى هذه القوات بعد الهجوم الاسرائيلي يوم ٢٩ اكتوبر أن تقاوم لمدة ثمانية واربعين ساعة، وقاومت ببسالة ثم انسحبت. القوات البريطانية والفرنسية التي نزلت في بور سعيد لم تستطع أن تتقدم.

كان اعتماد ايدن وموليه في السويس على أن مجرد توجيه انذار إلى مصر سوف يكون كافياً في حد ذاته لارغامها على التسليم. ولم يحدث ذلك. وظلت مصر وحدها في المعركة أحد عشر يوماً انقلب فيها العالم رأساً على عقب، واضطرت قوات العدوان إلى الانسحاب واستقرت كل جوائز الحرب. قناة السويس وسيناء وحتى قطاع غزة في يد مصر، وإذن فإن مصر انتصرت في هذه الحرب.

واجهنا اسرائيل بعد ذلك ـ مرة ثالثة ـ سنة ١٩٦٧ وقد انهزمنا في معركة القتال، ولكن الحرب لم تنته بهذه الهزيمة، وإنما اتصلت الحرب واستمرت.. خسرنا معركة في القتال، ولم نخسر صراع الحرب، وظلت الارادة المصرية ـ ممثلة بقيادتها السياسية وبقواتها المسلحة ـ صامدة تمنع اسرائيل من تحقيق هدف الحرب.

ومع ذلك فأنا على استعداد لأن أقول إننا سنة ١٩٦٧ هزمنا. . هزيمة قتال لم تستطع انهاء الحرب ولا استطاعت أن تكون نهاية للتاريخ يتوقف عندها، لأن الارادة المصرية السياسية والعسكرية واصلت الحرب.

وهكذا جاءت الحرب الرابعة بيننا وبين اسرائيل. وهي حرب الاستنزاف. وقد استمرت هذه الحرب حوالي سنتين، ولا اعتقد أن نتيجتها كانت هزيمة لنا، بل إن هذه الحرب كانت المقدمة الطبيعية والتمهيد الضروري لحرب سنة ١٩٧٣ التي استطاع فيها السلاح العربي أن يحقق انتصاراً استراتيجياً بعيد المدى، وإن كانت السياسة المصرية قد عجزت عن استثمار ما حققه السلاح ـ وكانت هذه هي الحرب الخامسة بيننا وبين اسرائيل. ونحن بالقطع لم نهزم فيها، على الاقل في ميدان القتال.

نجيء إلى الحرب السادسة. . الحرب العربية الاسرائيلية السادسة، وهي حرب بيروت. وأنا لا اعتقد أن الثورة الفلسطينية خسرت هذه الحرب. بالنسبة للثورة الفلسطينية نفسها فإن العالم كله شهد لها بأنها قاتلت، وقاتلت بشرف وشجاعة، وأحدث قتالها ردود فعل هائلة في الدنيا وفي اسرائيل ذاتها.

ومع ذلك فأنا على استعداد لأن أقول إن العرب خسروا معركة لبنان، ولكن من الذي خسر؟ ليست الثورة الفلسطينية بالقطع. وإنما العالم العربي كله، أو بمعنى أوضح الأنظمة العربية كلها انهزمت في لبنان، والحقيقة أنها كانت قد انهزمت من قبل لبنان، وإن كان عجزها الكامل قد تجلى على صورة بشعة في لبنان.

لقد كان ما حدث أمام عيوننا في لبنان محزناً.

قوات اسرائيل تحتل عاصمة عربية لاول مرة.

اسرائيل تختار رئيساً لجمهورية بلد عربي لاول مرة.

اسرائيل ـ وقد تحولت إلى قوة امبراطورية في المنطقة ـ تتصرف كما يحلو لها وكما تشاء على طول المنطقة وعرضها دون راد أو رادع لاول مرة.

وكان كل ما قدرنا عليه أن نستدعي السفراء الامريكيين في العواصم العربية لكي نبعث معهم برسائل رجاء إلى الرئيس الامريكي بأن يطلب إلى اسرائيل أن تكتفي وتسكت.

اليس هذا بشعاً؟

هناك اسباب كثيرة لهذه الهزيمة العربية.

خروج مصر من الساحة العربية كان سبباً.

تغليب مصالح حكام الامة العربية على امن الامة كان سبباً ثانياً.

الاعتماد الكامل على الغير ـ الاستسلام للآخرين كان سبباً.

إننا عجزنا حتى عن إيجاد حل للحرب العراقية الايرانية، وكان بيننا لسوء الحظ من اسعده أن يغوص العراق في هذه الحرب لكي يأمنوا أي دور نشيطله في منطقة الخليج. اتذكر أنني ذهلت ذات مرة وأنا أسمع أحد الاقطاب العرب يتحدث عن هذه الحرب بين ايران والعراق، ويكون تعليقه عليها نصف بيت من الشعر يقول: وربما تموت الافاعي من سموم العقارب!

وفي النهاية فقد كان كل ما استطعنا أن نفعله في لبنان هو إخراج المقاومة الفلسطينية من بيروت، واعتبرنا ذلك انجازاً عظيماً رحنا نهنىء انفسنا به.

خرجت الثورة الفلسطينية إلى شتات أشفق عليها معه.

وبقي لبنان وحده يواجه أحلام الهيمنة الاسرائيلية من ناحية، ويواجه حروباً أهلية صغيرة من ناحية أخرى.

وبقية الامة العربية ـ ماذا فعلت؟

لقد تنادينا إلى اجتماع قمة في فاس. وكانت الفاس قد وقعت في الرأس ـ كما يقول المثل المصري.

وقبل مؤتمر القمة في فاس جاءتنا مقترحات ريجان وقلنا إنها تحتوي على عناصر ايجابية، والحقيقة أنني لم استطع أن اتبين هذه العناصر الايجابية.

كان ريجان يقول لنا بوضوح:

لا دولة فلسطينية ولا حق تقرير المصير للفلسطينيين. ولا انسحاب من الضفة الغربية أو غزة، وبالطبع لا شيء من القدس سوى التسليم بأنها العاصمة الابدية لاسرائيل.

ثم كان ريجان يقول لنا أيضاً إنه لن يتعامل مع منظمة التحرير الفلسطينية مهما كانت الظروف.

ولقد كانت العبارات الانشائية التي بدت ايجابية في مشروع ريجان محاولة اغلب الظن لامتصاص نقمة العالم العربي الذي اعتبر امريكا مسؤولة عن الغزو الاسرائيلي للبنان. وانتهى مفعول الكلمات بمجرد اختفاء طنين اصدائها.

وانعقد مؤتمر فاس في هذا الجو، ومن الواضح أن الغلبة فيه كانت لتجمع الملوك في المنطقة العربية. وبالطبع فإن ملوك العرب لهم كل الاحترام ولكننا نملك الحق في مناقشتهم. إن الملك الحسن ملك المغرب ـ وكان يرأس هذا المؤتمر ـ قال في احدى جلساته للآخرين: «اتركونا نعمل. لقد تركنا لكم الامور زمان طويلاً، ووصلنا إلى ما وصلنا اليه».

والحقيقة التي اسمح لنفسي أن استأذن ملك المغرب فيها أن الملوك كانوا يعملون:

ملوك السعودية ـ على سبيل المثال ـ كان همهم الاول اخراج السوفييت من المنطقة، واخراج السوفييت بدا باخراج السلاح السوفييتي منها. وكان معنى ذلك أن خيار الحرب بالنسبة لنا لم يعد موجوداً. . فنحن ببساطة لا نستطيع مواجهة اسرائيل بسلاح نحصل عليه من امريكا وحدها. امريكا مهما فعلنا لن تعطينا سلاحاً ندافع به عن أنفسنا ضد اسرائيل.

ومعنى أن ينتهي خيار الحرب، أن خيار السلام نفسه لم يعد في ايدينا. ليس هناك سلام وليست هناك مفاوضات في عزلة عن موازين القوى العسكرية.

ثم إن ملك المغرب نفسه كان هو الوسيط بين الرئيس السادات واسرائيل، وفي قصره تم الاجتماع الاول بين موشى ديان وزير خارجية اسرائيل وبين حسن التهامي مستشار السادات، وكان ذلك قبل شهور من مبادرة القدس.

والاتصالات بين الرئيس السادات واسرائيل ادت إلى المبادرة، وإلى كامب دافيد، وهذه بدورها ادت إلى خروج مصر من المواجهة العربية، وبخروج مصر مال ميزان القوى وبشكل حاسم إلى صالح اسرائيل.

وانتهى مؤتمر فاس إلى خطة عمل. ولكن أي خطة عمل لا تسندها موازين قوة حقيقية، تصبح نوعاً من الاماني أو نوعاً من الاوهام.

ولقد رأينا أن الولايات المتحدة اعترضت حتى على وجود ممثل لمنظمة التحرير الفلسطينية في وفد القمة العربية الذي سافر اليها ليعرض عليها المشروع العربي الذي صدر في فاس. وقبلنا استبعاد ممثل منظمة التحرير. وقابلنا ريجان، وكانت مقابلة تعيسة. فقد كان كل ما سمعه الوفد العربي منه هو ضرورة أن يعترف العرب كلهم باسرائيل أولاً، ثم يجلسوا معها للتفاوض!

ولقد سمعنا أخيراً آراء تنادي منظمة التحرير بأن تعترف باسرائيل حتى وإن لم تعترف بها اسرائيل، لان ذلك يجعل الولايات المتحدة تقبل بالتحدث معها. ثم قيل أيضاً إن منظمة التحرير تستطيع فيما بعد ـ إذا ارادت ـ أن تسحب اعترافها باسرائيل.

ومع احترامي لكل هذه الآراء، فإنني اختلف معها.

أولاً ـ لأن هناك فارقاً كبيراً بين الدولة والثورة. الثورة لا تملك الا أشياء معنوية تستطيع أن تعطيها، فإذا أعطتها لم يعد في يدها شيء. الدولة مسألة اخرى.

وأن نطالب منظمة التحرير بأن تعترف باسرائيل حتى وإن لم تعترف بها اسرائيل، فهذا معناه أننا نطلب إلى منظمة التحرير أن تستسلم قبل أن تبدأ المفاوضات.

وثانياً ـ هناك مسألة اخرى، وقد طرحها الملك حسين نفسه حين سأل عن اسرائيل التي يريدون منا أن نبدأ بالاعتراف بها، وفي أي حدود؟

إن اسرائيل تحتل كل التراب الفلسطيني. فإذا اعترفت بها الثورة الفلسطينية في هذا الوضع، فمعنى هذا أن الثورة الفلسطينية تعترف لاسرائيل بحقوق على كل التراب الفلسطيني، أي أن الثورة الفلسطينية في هذه الحالة تعطي اسرائيل كل شيء في مقابل لا شيء ـ غير قبول امريكا ـ على فرض أنها قبلت ـ بأن تتحدث اليها.

وثالثاً ـ فأنا أريد أن أسأل: كيف تسحب الثورة الفلسطينية اعترافها باسرائيل بعد أن تعترف بها؟ في حالة الدولة فإن سحب الاعتراف يعبر عن نفسه

بقطع العلاقات أو سحب السفير أو ما شابه ذلك من إجراءات. وأما الثورة فماذا تفعل لسحب اعترافها؟!

ورابعاً - فإنني أتصور أن أي طرف يعطي نصائح لطرف آخر، لا بد أن عنده ما يبرر له اسداء النصيحة. وأمامنا ما تقوله اسرائيل، لا يحتاج إلى ما عندي أو إلى ما عند أحد. وهي تقول إنها لن تعترف بالثورة الفلسطينية حتى وإن اعترفت بها الثورة الفلسطينية.

واسمح لنفسي - بكل احترام لاصحاب الرأي المطالب بالاعتراف الفلسطيني المسبق ودون اشتراط التزامن مع اعتراف اسرائيل - بأن اختلف!

وأليس غريباً أن نطالب ثورة تبعثرت عناصرها في ارجاء العالم العربي كله بأن تعترف من جانبها ومن طرف واحد بدولة اصبحت قوة نووية، لأننا نريدها أن تطمئن إلى أن الثورة المبعثرة لا تسعى إلى تدميرها؟

دعني أضيف لك على الهامش تعليقاً على ما سمعته عن وصول مبعوثين مصريين - هما الدكتور اسامة الباز والدكتور بطرس غالي - إلى بيروت.

لا بد أن اعترف على الفور أنني لم أفهم لأول وهلة - وقد أكون مخطئاً - سبباً لهذه الزيارة. ولربما جازفت بالقول بأنها في رأيي سابقة لاوانها، وأخشى أن بعض نقاد السياسة المصرية قد يجدون فيها اسباباً للنقد.

قد يقال مثلاً أن العاصمة العربية الوحيدة التي يوجد فيها سفير لاسرائيل تسارع الان إلى العاصمة العربية الوحيدة التي توجد فيها قوات للجيش الاسرائيلي.

قد يقال مثلاً لماذا لم تبعث مصر بمندوبين إلى بيروت عندما كان الشعبان الفلسطيني واللبناني يقاتلان في الظروف الحرجة، وهي الآن تبعث بمندوبين في فترة الساومات!

وبالطبع فإن من المحتم على مصر أن تهتم بشؤون كل بلد عربي، وأن تحاول بكل الوسائل أن تستعيد صلاتها الطبيعية بالعالم العربي - ولكن دعني اقول إن الباب اللبناني الذي اقتحمته اسرائيل ليس هو بالضبط - وفي الوقت الحالي - الباب الاصلح لاقتراب مصري مباشر من قضايا العمل العربي.

ومع ذلك فلعلي اكون متسرعاً في حكمي، ولعلي ـ وغيري ـ نسمع قريباً أن جهوداً مصرية قد استطاعت توفير امكانيات للتفاهم بين العناصر اللبنانية المختلفة بحيث تتأكد الصيغة اللبنانية للوفاق الوطني. فلا يطغى، فريق على فريق، ولا ينزع سلاح طرف، ويبقى السلاح في يد طرف واحد، ويلتزم الكل بدور لبنان الخاص، وهو متصل بأمن لبنان وبوجوده ذاته واستطاعت أن تقنع السلطات اللبنانية بأن تحاسب المسؤولين من الميليشيات عن مذابح صبرا وشاتيلا. وأن تقنع السلطات اللبنانية الرسمية بالافراج عن اكثر من الفي فلسطيني قبضت عليهم قوات الجيش اللبناني النظامي بعد أن قامت قوات اسرائيل بحصار بيروت، ثم قامت الميليشيات اللبنانية باجتياح المخيمات الفلسطينية بحمام دم رهيب، ثم تركت عناصر من الجيش اللبناني للخطوة الثالثة وهي اعتقال من تبقى في بيروت.

أقول بهذا وأنا أعلم مدى المعاناة التي تحملها الشعب اللبناني خلال السنوات من حمل السلاح بغير مسؤولية، ومن تجاوز على سلطة الدولة اللبنانية، ومن اهدار لا بسط حقوق الانسان لدى المواطنين اللبنانيين، لكننا إذا كنا نريد أن نبدأ صفحة جديدة في لبنان فعلينا وسط هذه الظروف العصيبة أن نفتح صفحة جديدة فعلاً، وليس أن نسوي ونصفي حسابات وتارات قديمة. وإلا فإن مستقبل لبنان يصبح في خطر.

وفي كل الاحوال، فقد كنت مستعداً لرفع أي تحفظ على وفد لبناني يجيء إلى القاهرة يشرح فيها ما يريد، كما فعل الشيخ بشير الجميل حينما ذهب إلى الرياض وإلى الرباط. ولكنني لا استطيع إلا أن اتحفظ على وفد مصري يذهب في هذه الظروف إلى لبنان ليشرح فيها هو، أو ليسمع.

وعلى هامش هذا الهامش فإن لديَّ ما يحملني على الظن بأن بعض الجهات تفكر في دعوة مصر إلى الاشتراك في القوة المتعددة الجنسيات في لبنان. ومع أني لا أعرف إن كان هذا الاقتراح قد عرض فعلاً على السلطات المصرية، ولا إذا كانت وافقت عليه أو رفضته ـ إلا أني مبكراً أرفع يدي اعتراضاً على الفكرة من الأساس. ذلك إقحام لمصر فيما لا تملك شيئاً فيه، وبما لا مصلحة لها فيه أيضاً. فكل هذا الذي يجري في لبنان الآن محاولة اسرائيلية ـ امريكية لا أعرف إلى أين تقود؟ ولا

ماذا تكون نتائجها؟ ـ وعلى أي حال فإن مصر كانت بعيدة من البداية، ولم يعد الوقت مناسباً لاقترابها آخر النهار، ثم هو يقود مصر إلى تعقيدات لا أريد أن اخوض في تفاصيلها.

ثم علينا أن نتأمل الوضع على الطبيعة.

إن اسرائيل فرغت ـ تقريباً ـ من عملية ضم الضفة الغربية وقطاع غزة.

وهناك بيننا من يقولون إن مصر اعترضت باسرائيل واستعادت سيناء، وفات هؤلاء أن سيناء غير فلسطين.

لم تكن لاسرائيل دعاوى تاريخية في سناء اطلاقاً، وإنما كانت لها مطالب أمن. وقد حصلت منها على اكثر مما كانت تحلم به.

نسينا أن الرئيس السادات نفسه قال مرة: إن اسرائيل عرضت عليه اعادة سيناء في مقابل خروج مصر من العالم العربي وأنه رفض.

وذلك يمكن أن يكون صحيحاً.

إن هدف اسرائيل الدائم كان اخراج مصر من العالم العربي وليس ضم سيناء وكان ضم سيناء معناه بقاء مصر باستمرار في ميدان الصراع العربي الاسرائيلي. ومصر هي الدولة العربية الأقدر على المواجهة مع اسرائيل، ولذلك كانت اسرائيل حريصة دائماً على أن تفك اشتباكها مع مصر إذا ضمنت خروجها من العالم العربي. وهذا حدث مع الاسف. وإذن فإن الخروج من سيناء يتفق ـ إذا خرجت مصر من العالم العربي ـ مع استراتيجية اسرائيل.

مطالب اسرائيل الحقيقية كانت دائماً فيما يسمونه ارض اسرائيل ـ كل فلسطين. وأنا على استعداد لأن أفهم موقف بيجين في هذا الصدد. استطيع أن افهم موقف من وجهة نظره. إن فكرة ارض اسرائيل قائمة على اسطورة شبه دينية. والاساطير لا تتجزأ. الاسطورة تصور غيبي كامل، إذا اخذت جزءاً منه فإنك تهدمه من الاساس. التاريخ شيء يختلف عن الاسطورة. التاريخ انساني. وما هو انساني نسبي. . وإذا قبل بيجين منطق الانسحاب من نابلس، فما هو الفارق بين نابلس وبين الناصرة مثلاً؟ ما ينطبق على الضفة الغربية ينطبق على الجليل.

إذا كان هناك رجل في هذه المشكلة أشعر بالتعاطف معه من غير الفلسطينيين فهو ـ شهادة لله ملك الاردن الملك حسين. هو في أصعب المواقف في ظني. فهو رجل ذكي، وهو مجرب، وهو يعرف الحقائق كلها. وهو معرض للضغوط من كل ناحية.

ريجان يضغط عليه طلباً للخيار الاردني، والملك يعرف ماذا تفعل اسرائيل، ويدرك أن الخيار الاردني فاتت فرصته.

والعرب يضغطون على الملك حسين، لأن الانظمة العربية تريد أن يبدو وكأن شيئاً ما يتحرك.

وبين الضغطين يحاول الملك حسين أن يكسب وقتاً في معركة يعرف أكثر من غيره أن المنتظر من نتائجها لا يكاد يذكر، وهو مع ذلك يحاول لعله يعطي غطاء للكل، ولعل وعسى تحدث معجزة.

قبل أن تجيء انت إلى لقائي الآن كان عندي زائر امريكي لعلك قابلته خارجاً من مكتبي وأنت تدخل إلـي كان قادماً من الارض المحتلة، وقد قال لي إنه لم يبق هناك أكثر من ٥ في المائة من الضفة الغربية تستطيعـون استـرداده لو أن رونالـد ريجان استعمل كل نفوذه لدى اسرائيل. وكان في كلامه معي ينصح بسرعة القبول والا ضاعت هذه الخمسة في المائة وقد قلت له إذا كنا سوف نستعيد ٥ في المائة. من اراضينا في مقابل اعترافنا بخمسة وتسعين في المائة منها لاسرائيل، فإنني واحد من الناس أفضل عدم القبول.

قلت له إن اسرائيل في رأيي ـ تاريخياً ـ كيان محكوم عليه، خصوصاً بالطريقة التي يمارس بها حياته ودوره.

كل الموازين ـ تاريخياً ـ ضمه، حتى وإن بدا أن الاحوال الراهنة في العالم العربي مواتية له.

اسرائيل بقعة محصورة في بحر عربي واسع حولها.

العالم العربي سوف يتغير، وسوف تبرز قوى جديدة فيه اقدر واصلب.

دعني اذكرك أنه إذا كان العرب قد انهزموا في لبنان، فإن اسرائيل لم تنتصر - بل أكاد اقول إن اسرائيل دخلت في حقل ألغام في لبنان.

عملية غزو ثبت أنها اكثر في تكاليفها مما قدروا. وأوضاع سياسية واجتماعية وطائفية ودولية تصعب السيطرة عليها وحسابات تفاعلاتها. ومجال انتشار واسع للقوات الاسرائيلية يجعلها معرضة بأكثر مما تعودت عليه القوات الاسرائيلية في عملياتها السابقة. . ومناخ نفسي وانساني يصعب تحمله، وقد ظهرت ردود فعله أمامنا على المسرح السياسي الاسرائيلي نفسه.

ولا أعرف متى تستطيع اسرائيل الخروج من لبنان، نحن أمامها فيه بالقطع شتاء قارس.

وبعد هذا الشتاء، ما الذي ستحصل عليه من لبنان؟

لن تخرج بمعاهدة سلام على اغلب الاحتمالات، لأن الصيغة اللبنانية لا تحتمل مثل هذه المعاهدة، حتى وإن رغب فيها فريق من اللبنانيين.

شعب لبنان كله بموازين القوى العالية، لن يستطيع أن يتحول إلى دويلة تحت الحكم الاسرائيلي.

واذا كانت مهمة اعادة تعمير لبنان ضرورية - فإن الأموال اللازمة لها ليس امامها إلا مصدر واحد عربي.

وإذا كان الرئيس اللبناني يريد أن يكون رئيساً لكل اللبنانيين وليس لفريق واحد فيه - فإنه مطالب بالوقوف أمام املاءات الهيمنة الاسرائيلية.

وإذا كان هذا الرئيس يريد الاحتفاظ بوحدة التراب اللبناني فلا بد أن يأخذ في اعتباره الوجود السوري، وهو أكبر بكثير من مجرد التواجد السوري العسكري في سهل البقاع.

إن لبنان اثرت كثيراً على الجيش الاسرائيلي.

إن الجندي الاسرائيلي العادي فقد الكثير من معنوياته في اسرائيل. بل وأنا أعرف أنه فقد الكثير حتى من معايير الجندية التي كان يعتز بها. إنني اعرف وقائع

كثيرة تؤكد امامي أن جنوداً في الجيش الاسرائيلي ـ بل وضباطاً ـ اخذوا رشاوى على نطاقاً واسع لتمرير بضائع وشحنات تجارية. أقول اكثر من ذلك إن ضباطاً اسرائيليين اخذوا رشاوى لتفويت سلاح.

لبنان له تأثير مخيف على كل من دخلوه. الفلسطينيون عانوا من هذا التأثير. السوريون عانوا من هذا التأثير واسرائيل تعاني اليوم. وغداً سوف تعاني الولايات المتحدة!

تركيب اسرائيل من الداخل يهتز. الهجرة منها اكثر من الهجرة إليها. حياتها كمجتمع حامية عسكرية لا تحتمل. اقتصاد بغير اساس حقيقي اكثر من مليون عربي داخل حدودها المدعاة. تركيب السكان فيها يختل، وعناصر السفارديم ـ اليهود الشرقيين ـ يزيدون الآن عن عناصر الاشكنازي ـ اليهود الغربيين. ثم إن حماقة القوة والعنف تفترس كل افكار الرواد الاول الذين حلموا بالصهيونية كمجتمع جديد. نحن أمام مجتمع عنصري عسكري يدمر نفسه.

عن نفسي، أنا افضل انتظار التاريخ.. انتظار موازين التاريخ. إن هذه الموازين لن تجيء وحدها بطريقة تلقائية، وإنما سوف يتغير العالم العربي، سوف يتغير بالعلم والتعليم، وسوف يتغير بالوعي وبالتصميم. سوف تخرج اجيال جديدة تحمل قيماً متجددة. اجيال لا تغلبها المصالح الطبقية على مصالح امتها وعلى أمن شعوبها.

لم اكن ابالغ فيما قلته لهذا الزائر الذي كان عندي قبلك، ولا كنت احلم، ولا كنت مفرطاً في التشاؤم حيال الامر الواقع أو مفرطاً في التفاؤل حيال التاريخ.

العالم العربي كله امامي الآن في حالة مخاض. لقد سقطت مرحلة فيه. سقطت بالكامل. ولا به أن تبدأ فيه مرحلة جديدة، وسوف تبدأ.

سوف ندخل مرحلة تفاعلات عنيفة أرى مقدماتها أمامي الآن. سوف تدخل مرحلة صراعات هائلة وربما مخيفة. صراعات اجتماعية وفكرية وطبقية. لا أظن أن أي بلد في العالم العربي سوف يستطيع أن يتجنب هذه الصراعات. كلنا سوف

نكون في وسطها. مرحلة بأكملها سقطت. كان سقوطها النهائي في بيروت ومرحلة جديدة سوف تبدأ.

وأين يمكن أن تبدأ المرحلة الجديدة؟

رأيي من مصر. مصر دائماً بداية كل جديد في العالم العربي.

إن قيـادة مصر الحالية تملك الاجابة على سؤال أساسي وحيوي! هل هي ملحق لما كان في العالم العربي؟ أو هي مقدمة لما يجب أن يكون في العالم العربي؟

تسألني أيضاً ماذا تستطيع هذه القيادة أن تفعل، ردي كما يلي:

ـ لقد تراجعت مرحلة الثورة لاسباب كثيرة. وسقطت مرحلة الثروة لاسباب عديدة. ولم يعد سبيل غير أن يتحمل الانسان العربي العادي مقـاديره، وهـو لا يستطيع أن يتحمل مقاديره إلا إذا حصل على حريته في أن يحلم وأن يفكر وأن يعمل.

وأنا لا أريد ـ ولا أتصور ـ مطالبة القيادة المصرية الحـالية بمـا لا تسمـح به الظروف. ولكن علينا أن نجد وسيلة للتوفيق بين الواقع والامل.

أقول لك عملياً ما اتصوره.

إن مدة مجلس الشعب الحالي تنتهي في يونيو سنة ١٩٨٤. لتكن هذه نقطة تحول.. لنبدأ بالاستعداد لهذه الانتخابات.. بحرية تكوين الاحزاب. بحـرية اصدار الصحف. بحرية الاجتماع. بحرية المناقشة.. لنترك الانسان المصـري والانسان العربي يحمل مسؤولياته كما هو اليوم يحمل همومه ويتصدى هو لاقامة بناء جديد.

نحن الآن سنة ١٩٨٢ وما زالت أمامنا سنتان على ١٩٨٤ لتـكن هذه الفتـرة اعداد واستعداد لاتاحة الفرصة أمام الانسان حتى يمارس دوره. لم يعد لدينا غير الانسان المصري والانسان العربي.

في هاتين السنتين تكون مشكلة الامن الداخلي قد تمت مواجهتها. وتـكون المشكلة الاقتصادية الاجتماعية قد تم تشخيصها على الاقل.

أنا لا أطالب كما ترى بانقلابات مفاجئة، لكني أقول ببساطة إن الامور لا يمكن أن تصل على ما هي عليه الآن. لا بد من تغييرات تحتمها طبائع الظروف، ولا بد من الاعداد والتأهب لهذه التغييرات التي لم يعد ممكناً سد الطريق امامها.

الحقيقة أننا في أوضاع غريبة. أحزاب ولا أحزاب ديمقراطية ولا ديمقراطية. خليط غريب من مراحل متعددة في تجربتنا الوطنية.

سوف اعطيك أمثلة.

كان هناك عندنا تنظيم واحد. وكان ذلك شيئاً طبيعياً لاننا كنا نتحدث عن مجتمع تذوب فيه الفوارق بين الطبقات.

تركنا مرحلة المجتمع الذي كان يجب أن تذوب فيه الفوارق بين الطبقات ودخلنا في عهد الانفتاح. ليكن الانفتاح عودة للاقتصاد الحر، ومع أن ما حدث طبقاً لسياسة الانفتاح لم يكن بالقطع اختياراً للاقتصاد الحر، وإنما كان شيئاً آخر. على أي حال الاقتصاد الحر وحتى الانفتاح يعني ترك الفرصة للمصالح المختلفة تحقق مطالبها. إذا كان ذلك فإن هذه المصالح المختلفة ينبغي أن تكون لها تعبيراتها السياسية المستقلة عن نفسها، وهذا معناه الاحزاب الحزب هو الطليعة المتسيسة لطبقة اجتماعية، ولا يمكن أن يكون للحزب معنى غير ذلك.

وإذا كان هذا صحيحاً فإن التعدد الطبقي يجب أن يصحبه التعدد السياسي، ويجب أن تكون لهذا التعدد السياسي وسائله.

ونحن نتحدث الآن عن تعدد احزاب، ومع ذلك فإن هناك بقايا راسخة من عهد ومنطق التنظيم الواحد.

على سبيل المثال:

انشاء الاحزاب الجديدة مرهون بتصريح من لجنة الاحزاب التابعة للجنة المركزية، للاتحاد الاشتراكي العربي؟

أين هو الاتحاد الشتراكي؟ أين هي لجنته المركزية؟

مثال آخر:

في عهد ومنطق التنظيم الواحد كانت الصحف كلها ملكاً له، ولا تزال الصحف كلها ـ فيما عدا استثناءات قليلة ـ ملكاً لهيئة واحدة هي مجلس الشورى، الذي هو في حقيقته هيئة تمثل تنظيماً سياسياً واحداً ـ على فرض أنه بالفعل سياسي واحد.

مثال آخر أهم:

في عهد ومنطق التنظيم الواحد، كان يمكن أن يكون وزير الدفاع والقائد العام للقوات المسلحة عضواً في التنظيم الواحد. والغريب أن هذا الوضع الذي كان ممكناً فهمه ولو من الناحية النظرية حين كان القول بصيغة تحالف قوى الشعب: الفلاحين والعمال والرأسمالية الوطنية والمثقفين والجنود ـ بقي بعد أن اسقطت صيغة التحالف من أساسها. بقي من هذه الصيغة شيء واحد، يتصل بمشاركة الجنود. وهو صلة وزير الدفاع والقائد العام للقوات المسلحة بتنظيم سياسي بعينه.. هو في الواقع حزب سياسي وهذه مسألة تحتاج ـ ضمن مسائل كثيرة ـ إلى مراجعة.

اشياء كثيرة في الواقع تحتاج إلى مراجعة لكي نصغي آثار مراحل تكدست بقاياها واختلطت، واصبحت نوعاً من «السلاطة» السياسية غريبة الشكل، غريبة المذاق!

وإذا كنا نريد أن نبدأ جداً وحقاً، فلا بد أن نبدأ من الآن. والبداية الصحيحة حوار وطني يبدأ في أول فرصة مناسبة لينـاقش قضـايا حيوية وأساسية. كقضية تحديد الملامح الأساسية في استراتيجية مصرية محددة الخطوط واضحة الاتجاهات للمرحلة المقبلة، وكذلك قضايا كبرى معلقة مثل قضية الصحافة وملكيتها وحريتها، فليس يعقل أن يكون قصارى ممارسة الحرية هو إقامة ما يشبه حفلات الزار لهذه الحرية، أو ممارسة الحرية تجاه الأموات فقط. فحرية الصحافة بمعناها الحقيقي والأصلي هي مناقشة القرار السياسي وعوامل صدوره، والمناخ الذي يصدر فيه والاعتبارات التي يتوخاها والأهداف التي يقصد إلى تحقيقها.

ومن سوء الحظ أن الرئيس السادات كان يعتبر مثل هذا تدخلاً في السياسة من جانب الصحفيين، وكان يرى أن الصحافة مجالها الوحيد لممارسة الحرية هو مناقشة مشاكل المجاري والمياه والمواصلات. ولا شيء أكثر من ذلك، وهو وضع آن له أن يتغير. ثم أن الظروف يجب ـ حين تتاح لتكوين أحزاب جديدة ـ أن تعطي الفرصة لاصحاب هذه الاحزاب أن يصلوا إلى جماهيرهم وأن يشركوها في الحوار الوطني عن طريق مبادئهم وبرامجهم. . هناك قضايا كثيرة لا بد أن يشملها الحوار العام المفتوح الذي يجب أن يهمه لسنة ١٩٨٤. واعتقد أنه من الضروري الآن طرح جدول أعمال لمهمام إعادة التنظيم والبناء. لأن المنطقة كلها مقبلة على أحداث جسام ـ جدول أعمال بتوفيتات محددة تقرر مواقيت لبدء الحوار، ومواقيت لفتح باب تكوين الاحزاب، ومواقيت لاوراق عمل لا بد من اعدادها لمجلس سنة ١٩٨٤ حتى تكون الصورة امامه واضحة، وامكانيات حركته واضحة بما في ذلك حقه في تعديل الدستور.

أقول هذا كله وأنا اعتبر نفسي خارج لعبة السياسة المصرية وخارج لعبة الصحافة المصرية. قلت ذلك وما زلت عنده. وأن كنت اعتبر نفسي مواطناً مهتماً بالشؤون العامة. متابعاً لتطوراتها. حقه أن يبدي بين حين وحين رأياً يطرحه دون إلحاح.

والحقيقة أن مسائل كثيرة يجب مراجعتها عند اعادة النظر في الدستور، وفي مقدمتها ضرورة النص على المبادىء الاساسية للاستراتيجية والامن المصري بحيث لا تتحول السياسات إلى مغامرات أو شطحات خيال.

ثم إن مدة رياسة الجمهورية تقتضي تحديداً واضحاً، وكذلك يحتاج إلى نفس التحديد منصب نائب رئيس. وإلا تحولت الرياسة إلى ملكية طول العمر لرجل، واصبحت نيابة الرياسة ولاية عهد لمن يقع عليه اختيار نفس الرجل. وربما كان ملائماً أن ناخذ بالقواعد الامريكية في هذا الصدد: مدتان للرئيس وليس اكثر، وثماني سنوات وليس اطول مهما كان لحكم رجل واحد. ثم إن نائب الرئيس يختاره الشعب معه ويستكمل مدة ولايته إذا طرأ ما يقطع استمرارها.

● **استاذ هيكل . . ما هي آخر مؤلفاتك التي ستظهر في السوق والتي تنشغل بها حالياً؟**

■ آخر مؤلفاتي كتاب «خريف الغضب» وقد وصلني غلافه، وسيظهر خلال الشهر القادم باللغة الانجليزية و ٢١ لغة اخرى.

لقد حزنت هذا الاسبوع لان شريكاً ورفيقاً لنا في جزء من تجربة خريف الغضب قد ترك دنيانا ورحل . . اقصد الدكتور محمود القاضي.

يوم لقيته في المستشفى اخر مرة قبل اسبوع، حدثته عن هذا الكتاب. وكان من أماني أن اقدم لك نسخة منه.

لقد فقدنا عدداً من الرجال الذين كانوا معنا في تلك التجربة الكبيرة. . تجربة سجون سبتمبر ١٩٨١. مشهد من مشاهد خريف الغضب.

فقدنا عبد العظيم أبو العطا، وفقدنا عبد العزيز الشوربجي. وهذا الاسبوع فقدنا محمود القاضي. كانت الدموع في عيني وأنا اسير في جنازته، وهناك من يهتف بين المشيعين «من اجلك يا مصر» وداعاً له لم اشعر بمثل هذا الحزن من امد طويل. لم أكن اعرف محمود القاضي عن قرب قبل تجربة السجن. واثناءها وبعدها عرفته. كنت حزيناً عليه وحزيناً من اجل مصر. هذا بئس رجل لم تسمح له الظروف أن يعطي لمصر كل طاقته. كان لديه ـ كانسان وكصاحب مبدأ وكمقاتل صلب ـ كثير يعطيه، لكنهم حاربوه وضاقوا ذرعاً به، ولم يسمحوا لعطائه أن يصل كاملاً إلى بلد يتشوق لعطاء القادرين من ابنائه.

أي خسارة لهؤلاء الذين عرفوه كما ينبغي . . . أي خسارة لمصر التي لم تتح لها الفرصة أن تعرفه كما ينبغي. ها نحن نتابع نعشه إلى القبر، وما كان اجدرنا بأن نتابع تقدمه من اجل شيء عظيم كان يستطيع أن يقدمه لمصر، في موكب من اجل الحياة وليس في موجب جنائزي.

والآن تسألني عن عمل . . . ماذا افعل وفي أي شيء اعمل؟

حالياً بدأت بإعداد كتاب عن حرب السويس سنة ١٩٥٦. فقد طالبني الناشرون بهذا الكتاب، وكنت مفاجأ بهذا الطلب واتصور أن الموضوع قد استنفذ

ولكنهم يرون أن وجهة النظر المصرية القريبة من الاحداث لم تكتب كاملة.

بعد الانتهاء من هذا الكتاب، سأتفرغ لكتاب عن التاريخ المصري المعاصر من بعد نهاية الحرب العالمية الثانية إلى حرب اكتوبر، مع التركيز على حقبة عبد الناصر. ولا أريده تاريخاً بالمعنى الأكاديمي. ولكنني أريده رواية متصلة للاحداث والوقائع والافكار المؤثرة في تلك الحقبة. وسيشتمل على مجموعة من الوثائق الخطية لعبد الناصر لنشر لاول مرة.. لقد ادعى كثيرون عن هذه الحقبة كما تصوروا. وأظن أن الناس الآن ليسوا مستعدين لسماع حكايات اخرى تجري على هوى ومزاج الرواة. وقد التزمت في هذا الكتاب أن لا ذكر واقعة لا استطيع توثيقها.

● **سؤال اخير.. كنت شريكاً بصورة أو أخرى في ظل عبد الناصر، ولفترة من حكم السادات.**

ما هو دورك بالنسبة لحكم الرئيس حسني مبارك؟

■ لم اكن شريكاً لعبد الناصر أو السادات. لقد كنت طرفاً محاوراً لعبد الناصر طول الوقت، وحاولت أن اكون طرفاً محاوراً للسادات، وحدث ذلك لبعض الوقت. وبالنسبة للرئيس حسني مبارك لا املك الا الدعاء له، وأنا بالفعل ادعو له من صميم قلبي لأنه يواجه اصعب ظروف واجهها حاكم مصري في العصر الحديث، لكنني اثق أنه سوف يحمل امانته هناك من يتصورون أن الامور تسير أبطأ مما كانوا يتوقعون. لكنني من جانبي اتصور أنه بحكم خبرته السابقة كطيار يركز على عنصر السلامة والامان قبل أن يتحرك وقبل أن يحلق، وأنا استطيع أن افهمه وأن كنت ادرك في نفس الوقت أن الظروف الآن اصبحت تحتم أن تدور المحركات وأن يبدأ الاستعداد للانطلاق.

نعيش ظلال الحقبة الاسرائيلية

نحن نعيش «الحقبة الاسرائيلية» بعدما اجهضت السياسة ما فعله السلاح في حرب ١٩٧٣. هذا هو رأي محمد حسنين هيكل «بصراحة» وبعد صمت طويل. ولكن الكاتب والصحافي الكبير غير يائس، فهو يبشر بحقبة جديدة، حقبة عربية تلعب فيها مصر دورها في مواجهة «الامبراطورية الاسرائيلية».

الصامت الأكبر في حديثه مع «كل العرب» الذي أجراه مراسلها في القاهرة، يتحدث عن ظروف مصر. عن نظام السادات. عن «الكويت» التي وزعها بسخاء قبل موته. عن الفساد. عن حسني مبارك. عن شخصيته. عن قدرته على الحركة. عن التغيير المطلوب. عن مصر بسيناء ومصر بلا سيناء. عن مصر مع العرب ومصر بلا العرب...

هيكل يتحدث عن ظروف العالم العربي. عن الانفصام بين الواقع والكلام. عن الصراع العربي ـ الاسرائيلي «الممكن حله» ولكن ليس «بالضحك على الناس» كما فعل السادات. عن الحوار مع أميركا. عن التفاوض مع اسرائيل...

هيكل يتحدث عن محنة لبنان «نقطة الضعف» في العالم العربي. عن القضية الفلسطينية. عن الثورة «رهينة» الاختلاف أو الاتفاق بين الدول العربية...

هيكل يتحدث عن هيكل... عن صمته. عن كلامه. عما يعتزم أن يفعل ويكتب... كل ذلك «بصراحة» وجرأة وموضوعية، كما عرفه قراؤه منذ عهده القديم بهم.

ومحمد حسنين هيكل يصمت عن حكمة، ويتكلم عن حكمة. وهو كبير في كبريائه عندما يلوذ بصمته. وهو يمتلك القدرة على الاقناع بالمنطق والتفسير والتحليل عندما يختار الكلمة تعبيراً عن رأيه وموقفه.

● كل العرب ـ ٢٢/١٢/٨٢ ـ ممدوح طه

قلت للصحافي الكبير:

● لماذا صمت الأستاذ هيكل لمدة عام منذ الافراج عنه وحتى الآن. لم نقرأ مقالاته أو أحاديثه الصحفية؟ ومتى يستأنف الكتابة؟ وعما سيكتب؟

■ أستطيع أن أقول إن عدة عوامل هي التي دعتني إلى هذا الصمت. العامل الأول منها أنه عقب خروجي من السجن بعد فترة طويلة من الصدام مع الرئيس السادات، كنت أشعر أن كافة الأمور بالنسبة لي؛ بما فيها آرائي، تحتاج إلى امتحان، لأنه وقعت تغييرات كبيرة جداً.

وهنا أود أن تلاحظ أن اختلافي مع الرئيس السادات بدأ منذ فك الارتباط الأول. صحيح أنه حدثت محاولة بعد فك الارتباط الأول للعودة بعلاقتنا مرة أخرى، إلا أن الخلاف ازداد عمقاً بعد فك الارتباط الثاني، وتمول الخلاف إلى قطيعة كاملة ودائمة..

ومنذ ذلك الوقت، وقعت أحداث كثيرة وكبيرة، وهي أحداث كانت تشدني بالضرورة لأن أسهم فيها بالرأي. فبعد فك الارتباط الأول والثاني، انتقلنا إلى أحداث كانون الثاني/ يناير ١٩٧٧ في القاهرة، والخلاف حول تفسيرها اجتماعياً أو بوليسياً. ثم وقعت المبادرة وما أعقبها والتي انتهت بتوقيع صلح منفرد مع اسرائيل. كل هذه الأحداث بالنسبة لي كانت مرحلة طويلة انتهت بي، كما قلت، إلى السجن.

وفي نفس الوقت حدثت متغيرات واسعة في مصر والمنطقة العربية. ومن السجن كان اقتناعي أن الأمر يقتضي وقفة لاعادة التأمل والتفكير.. وقفة لمراجعة

كل المواقع ولاعادة تقييم الصورة كلها من خلال نظرة كاملة وشاملة، ولذلك فإن اعتقادي أن حادث المنصة جاء ليختتم فترة كاملة من أحداث مصر بنفس الدرجة التي كان حريق القاهرة عام ١٩٥٢ فيها ختاماً لدورة من الحياة السياسية في مصر.

وأظن أنه لا جدوى من محاولة أي طرف لإنكار ذلك، فنحن بالقطع أمام مرحلة جديدة. وهذا في حد ذاته عامل يقتضي اعادة النظر والتقييم للمسائل.

أما العامل الثاني، فهو إنني لم أشعر أن لدي المنبر الذي أستطيع منه مخاطبة الناس، وليس مسموحاً لي بمنبر معقول أخاطبهم من خلاله. وعلى أية حال فإنه حتى لو توافر مثل هذا المنبر في إطار ما هو قائم، فقد كنت غير مستعد على الأقل لأن أقترب منه مجرد اقتراب.

صحيح أن هناك صحف الأحزاب، وهي صحف لها خطوطها وسياساتها، ومن ثم فإن أصحابها أحق بالاستفادة من مساحاتها، وليس من حق أحد من خارج الحزب أن يقتحم هذا الحق، وحتى إذا حدث ذلك مرة أو أكثر فإنه قد يتم من باب الضيافة التي لها حدودها، خاصة إذا اختلفت الخطوط بينك وبينهم.

العامل الثالث، هو إنني كنت أعتقد أن مصر في بداية أوضاع جديدة من حقها أن تعطي فرصة كاملة تبين فيها مواقفها، ولذلك قال لنا الرئيس مبارك، عقب خروجنا من السجن بالطريقة الدرامية التي حدثت، انه يريد ثلاثة أشياء: الأولى صفحة جديدة من تاريخ مصر، والثانية حوار مع كل القوى الوطنية، والثالثة وقت أفكر فيه.

ساعتها أحسست أن الأمر يقتضي ما هو أكثر من عدة أسابيع، لأن الخيارات المطروحة والظروف المختلفة وحساباتها أمور تحتاج في تصوري إلى فترة تزيد عن شهور.

يبقى أنه بالنسبة للكتابة خارج مصر، والتي اتجهت اليها منذ عهد الرئيس السادات عندما أغلقت أمامي كل المنابر، كانت القضية وقتها في تصوري محددة في التأكيد على استمرار الارتباط والالتزام المصري بالقضية العربية، من خلال صوت مصري يُسمع من داخل مصر وليس من خارجها، صوت يؤكد أنه رغم كل

الظروف والمشكلات فإن في مصر تياراً يلتزم بكل ما عهدته الأمة العربية بمصر. وعندما تغيرت كل هذه الظروف وحدث ما حدث وتكلم الشعب المصري كله لم يعد هناك ما يدعو للكتابة في العالم العربي.

هذه كلها العوامل أو الظروف العامة التي رأيت فيها أن التأمل وإعادة التقييم ضرورة، بالاضافة إلى عامل شخصي ككاتب صحفي محترف، هو أنه كان أمامي كتاب «خريف الغضب». وكان هناك إلحاح شديد في أن يصدر في موعده.

● **يبقى السؤال متى تستأنف الكتابة وليس مجرد الادلاء بالأحاديث، على سبيل المثال كنت تكتب لـ «الصنداي تايمز» البريطانية فهل تعود قريباً للكتابة مرة أخرى؟**

■ بالنسبة لـ «الصنداي تايمز» فأنا أنتظر حتى يبدأ نشر كتاب «خريف الغضب» على صفحاتها من شباط/ فبراير القادم في حلقات، في نفس الوقت الذي ينشر فيه في مختلف أنحاء العالم بـ ١٩ لغة حتى الآن. بعدها أعود لاستئناف كتابة مقالاتي فيها مرة أخرى.

● **يبدو أن هناك محاولة للاستمرار بـ «نظام السادات» بدون السادات. هل يرى الأستاذ هيكل ذلك ممكناً؟**

■ سوف أعيد اليك السؤال مرة أخرى: هل نستطيع أن نختلف في أن السادات كان نجم هذا النظام؟ بالطبع، لا. وهل هناك من يختلف على أن السادات كان صانع هذا النظام؟ أعتقد أن الاجابة أيضاً لا. إذن، إذا كان النظام لم يستطع مواجهة أزماته في حضور الصانع والنجم، فهل يستطيع مواجهتها في غيابه؟

لهذا أعتقد أن أية محاولة من هذا النوع تتجاهل ليس فقط حقائق الواقع، لكنها تتجاهل أيضاً التاريخ، وتتجاهل التجربة العلمية وواقع الأمور. هل تستطيع أن تتخيل فيلماً سينمائياً تحذف منه فجأة كل المشاهد التي تضم بطل الفيلم أو نجمه بكل تجاربه وتأثيره؟ أعتقد أنه سيصبح أمراً أقل مسألة ما يوصف به هو اللامنطق.

ولكن تبقى مسألة التغيير. بالقطع هناك قوى معادية للتغير. وهذا أمر طبيعي،

لأن أي نظام أو حكم هو تعبير عن مصالح قائمة أو استناد إلى مصالح قائمة. هذه هي طبيعة السلطة، لذلك فإنه من الطبيعي أن كل المصالح القائمة والتي استفادت أو ساندت إلى حد ما الوضع السابق سوف تتصدى بالضرورة لمواجهة أي تغيير، لأن التغيير ببساطة شديدة يدفعها لمشاكل لا حدود لها، فهو على الأقل سوف يأخذ منها امتيازاتها.

ولذلك لا بد أن نتصور أنه من الطبيعي أن توجد عناصر التغيير وعناصر تعادي التغيير، والحكم في اللحظات التاريخية لحركة الجماهير. ونظرة واحدة للمجتمع تجد أن هناك قوى تنادي بالتغيير، وقوى تعارض التغيير، وكل منهما يصارع الآخر على أن يأخذ الجماهير إلى جانبه.

ولكن يجب أن ندرك أن اهتمام الناس بالسياسة ضعيف. الناس تهتم بمشاكلها، وعن طريق اهتمامها بهذه المشاكل الحياتية تستطيع أن تصل إلى فهم السياسة.

وباستمرار في أي مجتمع فيه حكومة ومعارضة، هناك دعوة للتغيير ودعوة أخرى لبقاء الأمر الواقع، والاثنان يتصارعان على مَنْ منهما يأخذ الناس إلى جانبه.

وفي رأيي أن الجماهير انحازت إلى جانب القوى المطالبة بالتغيير، وبالتالي أصبحت الضغوط أو القوى الضاغطة من أجل إحداث التغيير لها الوجود الأقوى، والقوى الأخرى تقوم بحرب التأخير في محاولة لكسب الوقت.

فإذا أخذت ناحية الفساد مثلاً، فقد جاءت قضية رشاد عثمان، ثم توفيق عبد الحي، وجرت محاولات لوقف الأمور عند هذا الحد، وهي محاولات من جانب القوى المعادية للتغيير بالطبع. ولكن جاءت قضية عصمت السادات.

السؤال ما هي نتيجة ذلك؟ على سبيل المثال في قطاع البنوك، تجد كل الناس تتحدث عن الانفتاح، وأسأل البنوك عن حالتها اليوم وحالات التوقف عن الدفع والسداد. وهذا معناه أنه جرت منذ الفترة الماضية عمليات نهب. المهم أن كل جوانب الصورة انكشفت وكشفت عن تلك التسهيلات المصرفية التي اعطيت لأشخاص دون أية ضمانات، الأمر الذي يطرح أوضاع السوق وعمليات

الاستنزاف التي يتعرض لها المجتمع، بمعنى أنها أصبحت سلسلة من الحلقات المتتابعة، ورغم كل محاولات الوقوف ضد احتمالات التغيير، إلا أن هذا التغيير، رغم البطء في حدوثه، يتم خطوة خطوة. المهم في القضية كلها أن الجماهير نفسها انحازت بالفعل إلى جانب القوى التي تنادي بالتغيير.

● **حول قضية التغيير أيضاً. هل تعتقد أن «فترة السماح» قد انتهت بالفعل؟ وبمعنى آخر، هل يمكن أن نعرف رؤيتك حول مصر وإلى أين؟**

■ أنا ضد من يتصور أن يعيش التاريخ باعتباره توقيتات، يمكن فيها أن تنظر إلى ساعتك لتقول مضى نصف ساعة. ليس هناك مثل ذلك التاريخ، ولكن هناك فقط النظرة إلى العملية التاريخية. هل تأخذ مجراها أم لا؟

وأنا أعتقد انها تأخذ مجراها. إذن ليست هناك لحظة زمنية محددة يمكن أن توقف الزمن عندها لتقوم بعملية قياس لأنك أمام عملية مستمرة ليست فيها لحظة يمكن أن تقول إن التاريخ انتهى والأحداث توقفت. هذا أمر جائز في مباريات الكرة ولكن في التاريخ لا.

● **تحدثت من قبل عن عوامل كثيرة بنيت على أساسها إعلانك عن تأييدك للرئيس حسني مبارك. وكان بين هذه العوامل التي تجعلك مطمئناً «درس حادث المنصة» وأيضاً «سنّ الرئيس»؛ أي فترته التكوينية التي تمت أثناء الفوران السياسي والاجتماعي في الخمسينات والستينات. فهل تأكد ظنك في تأثير هذه العوامل على مسلك الرئيس خلال عام؟ وما الذي نجح فيه وما الذي اخفق فيه؟**

■ كل إنسان منا موجود في مناخ معين وبيئة معينة ويتأثر بأفكار معينة تولدها البيئة. لهذا قلت الفترة التكوينية للرئيس مبارك. فهو رجل عمره ٥٣ عاماً، أي إن فترة الخمسينات والستينات هي فترة الفوران السياسي والاجتماعي فعلاً، ولا يمكن أن أتصور أن الرئيس مبارك كان بعيداً عن هذا المناخ، فقد كان شأنه شأن أي شاب في هذه الفترة.

ومع ذلك تبقى التجربة نفسها هي الأساس، بمعنى أنه يمكن أن تتأثر بعوامل

معينة، ولكن عند التجربة قد تصطدم بظروف أو عوائق تمنعك من التعبير عما تأثرت به، بل وقد يأخذ تعبيرك اتجاهاً مضاداً لكل ما تأثرت به. ولكن بالنسبة للرئيس مبارك، فإن النقاط الموضوعة تقول إن أولها هو وليد هذه الفترة، فترة الخمسينات والستينات بكل فورانها، ثم كونه شاهداً على حادث المنصة بكل ما يعنيه هذا الحادث من أبعاد لا شك فيها ودروس ليست أيضاً محل شك.

نعود إلى نقطة الفترة التكوينية للرئيس مبارك والتطبيق العملي لهذا التكوين، فمن المؤكد أنه من غير المتصور أن لا تترك فترة الخمسينات والستينات انطباعاتها القوية والمؤثرة على الرئيس مبارك الذي كان وقتها في القوات المسلحة، والتي كانت رأس الحربة في صراع من أهم صراعاتنا، وهو الصراع العربي ـ الاسرائيلي.

والنظرة إلى التطبيق تقول إنها عكست بصدق ذلك التكوين، فمثلاً عندما يقول الرئيس مبارك لا لن أذهب إلى القدس. فهنا أنا أقطع بأنه لو كان الرئيس السادات موجوداً لذهب إلى القدس. ولكن مع الرئيس مبارك نحن أمام شخص اعترضته القضية مبدئياً، ونحن أيضاً أمام شخص بدأ يتحسس طريق مصر العربي، وشخص اختلف في قضية الحكم الذاتي اختلافاً واضحاً، وقال إنني لست متعارضاً ولا متحدثاً باسم الفلسطينيين، ولا أتنازل عن شيء يخصهم.

ومع كل ذلك لا بد أن نسلم أن مجمل الظروف التي ورثها الرئيس مبارك تحدد حركته وتحد منها إلى أبعد حد، وبمعنى أنه يحتاج إلى وقت أطول لتخليص نفسه.

أخْلُصُ من ذلك إلى أن التأثير موجود من الناحية الموضوعية، ويعبر عن نفسه بكثير من الظواهر من الناحية العملية. صحيح أنه يمكن أن نقول إن هذه الظواهر ليست كافية، ولكن عليك وأنت تحسب الفارق بين الواقع والتمني أن تعيش الصعوبات الموجودة.

وأستطيع أن أدعي أنه لا الرأي العام العربي ولا الرأي العام المصري يعلم حقائق الموقف الذي تمر به مصر. مصر مقيدة بالكثير من القيود، وأي حركة فيها لا بد أن تتم بحذر وحرص. ومن الضروري أن تضع حساباً للحقائق الموضوعية ومجمل الظروف التي وجدها الرئيس مبارك أمامه.

أنا شخصياً أستطيع أن أقول، كمراقب، وبمجمل الظروف المحيطة بالرئيس مبارك ومجمل تصرفاته تأكيد للحكم الذي قلته، وهو أنه أمام وضع جديد يفهم ما يجري حوله، وضع قادر على تحليل الحقائق التي أمامه، ووضع يستجيب وطنياً وقومياً بقدر ما يرى.

ولكن لا بد أن نسجل في نفس الوقت أن ذلك يتم بخطوات بطيئة، وإن كانت في الاتجاهات السليمة، وهنا أقول خطوات بطيئة مدركاً لظروف الوضع الدولي والوضع الاسرائيلي وموازين القوى العسكرية في المنطقة والظروف الاقتصادية والوضع العربي، ولكنك لا تستطيع أن تحدد لغيرك كيف يتصرف.

● **وكيف ترى مصر الآن. هل عبرت «خريف الغضب» إلى الاستقرار؟**

■ لا.. خريف الغضب مثل أي موسم يمضي. لكن الاستقرار لا. الخريف مثل الربيع وباقي الفصول، مجرد مواقف زمنية تمضي ولكن السؤال هو ما إذا كنا وصلنا إلى الاستقرار أقول لا... لأنه ليست هناك حالة نحسّ فيها بالاستقرار. وأنا ضد الدعوة للاستقرار، لأن طبيعة الأمور التغير باستمرار.

ولكن كنت تسأل عن عواصف «خريف الغضب» وهل زالت أم لا. لا أقول لا لم تزل، لأن كل العوامل الاقتصادية والاجتماعية والفكرية التي أدت إلى ما جرى في خريف الغضب ما تزال موجودة كاملة وكامنة.

صحيح أن عوامل التفجير تراجعت، ولكن لم ينزع فتيلها. فلم نصل بعد لحلول للمشاكل التي كنا وما زلنا فيها، إنما البلد مرت بفترة تهدئة، وهو تعبير الرئيس مبارك. لقد وضعنا فرامل على الاندفاع الذي كنا نسير فيه، مثل سيارة مندفعة أوقفتها بالفرامل ولكنها ما تزال على نفس الطريق. متى تخرج منه؟ أقول عندما تزول المشكلات الأساسية التي أدت إلى ما كان. فالمؤكد أن كل ظاهرة تتكرر إذا تكررت العوامل المؤدية اليها. هذا احد القوانين الطبيعية والمشاكل ما زالت ما هي بلا حل.

إذن فالخطر موجود وعوامله قائمة ولكن الخطر أو لحظة الصدام مضت في موسم معين لأنه وقع حادث كبير احتواها، هو حادث المنصة،

فاضطر الناس إلى استخدام الفرامل قبل منحنى الخطر وحدث نوع من التوقف ثم بدأت الناس تتحرك وبحذر تبحث عن طرق بديلة، ولكن نحن ما زلنا في نفس المكان بدون حل للمشكلات.

● **ما هو مغزى قضية عصمت السادات في تقديرك؟ هل هي حالة فردية؟**

■ أعتقد أن القضية الأساسية أكبر من عصمت السادات، وأنا مع الأسف الشديد أحد الذين يعتقدون أن المنطقة كلها ومصر بصفة خاصة منذ عام ١٩٧٣ وابتداءً من عام ١٩٧٤ وما بعده ساد فيها منطق الكذب على النفس، وهي حالة من كان يسعى وراء أمل كبير ليجد نفسه في النهاية بعيداً عنه وضاعت منه فرصة تحقيق هذا الأمل، فحتى آخر لحظة كنا نردد أننا القوة السادسة في العالم ونتصور الأمور كما لو أنه ليست هناك سوى تلك الخلافات العربية، وأنه لو أعطيت لنا الفرصة لحققنا كذا وكذا.

هذا الوضع لم يقتصر على مصر فقط بل إن المنطقة كلها دخلت في حالة نفسية من حالات الانفصام بين الواقع وبين ما يقال من كلام. وساعدت على تحقيق ذلك وسائل الاعلام والتلفزيون بصفة خاصة أو ما أمسيه عقلية الفيديو أو عقلية الهليوكوبتر.

فكل القضايا ينظر لها من أعلى... وهؤلاء الذين ينظرون من الأعلى يشاهدون أفلاماً سينمائية في منازلهم ويقومون بتصوير مشاهد بأنفسهم، ثم يتوهمون أن ما يرونه أو يصورونه هو الحياة، وتحول كل منهم إلى مخرج لمشهد محدد، مشهد النصر، ثم يصدق هو نفسه أن المشهد حقيقي وأن النصر حقيقي.. مشهد يزور فيه أميركا أو غيرها ويحول هذا المشهد ومعه وسائل العصر والأقمار الصناعية إلى فتح تملؤه الموسيقى ودقات الطبول.

وكانت النتيجة أننا خلطنا بين المراسم والحقائق، وكان العالم على استعداد لأن يضحك علينا بعد أن ضحكنا نحن على أنفسنا. ولكن أنا أتصور أن المنطقة عاشت في وهم.. أما مصر مع الأسف الشديد فكانت المسألة أكبر من مجرد الوهم. كانت محاولة للتعمية والتغطية بمساعدة وسائل الاعلام الحديث التي

لعبت دوراً مخيفاً، وأصبحت تصورات الناس وانطباعاتها لا علاقة لها بواقع الأمور وهنا كانت الأزمة، أزمة الانفصال بين العمل الواقع بالفعل والصورة. الصورة شيء ملون بالصوت والحركة والموسيقى والمراسم وغيرها. والواقع مختلف تماماً عن ذلك.

من هنا فإن حكاية عصمت السادات هي حكاية الفجوة بين واقع الأمور والوهم، وهي الفترة التي أطلق عليها المرحوم الدكتور محمود فوزي (رئيس وزراء مصر الأسبق) تعبيراً يقول إن «الكدبة كبرت قوي». وهذا صحيح وإلا لماذا يتحرك الفساد في هذا الوقت؟ لأنه ليس هناك من يراقب هذا الفساد..

ومع ذلك فأنت تقع في خطأ كبير لو نظرت لقضية الفساد على حدة لأنها ليست كل صورة الفساد. فهناك فساد سياسي يجاوز آلاف المرات فساد عصمت السادات، بمعنى أن غيره يعطي لنفسه حق مخالفة الدستور والاتصال بالعدو لأنه بعيد عن تقييم المبادرة أو جدواها.

أقول إنه بالنسبة لمواد الدستور والقانون فالمبادرة مخالفة لهما لأن الدستور يعاقب كل من يتصل بالعدو الاسرائيلي، وهو ما كان مطبقاً حتى وقتها، وطبق بالفعل في هذه الفترة على امرأة اتصلت بإسرائيل وحُبست ثم اعدمت. وفجأة يأتي رئيس الدولة مرة واحدة وبدون مقدمات ليضرب بهذا الدستور عرض الحائط ويطير للقدس وينزل هناك يقبلهم!

إذن بإيجاز، نصوص الدستور اهدرت وخولفت. وهنا اختلفت الحقيقية عن الصورة. وما قيمة ما فعله عصمت السادات بالقياس إلى ذلك، فقد خالف قانون العقوبات بينما خالف أخوه الدستور.

أنا أوافق على أن الصراع العربي الاسرائيلي من الممكن أن يحل، لكن وسائل حل الصراعات كثيرة ومتعددة أما أن يأتي الحاكم وهو بين السحب ليقرر أن يأخذ طائرته ويذهب للقدس مخالفاً أحكام الدستور، ومخالفاً لاستراتيجية استقرت عليها مصر منذ عهد الملك فاروق والوفد وجمال عبد الناصر وجزء مهم من أنور السادات.. فإنك إذا كنت تريد اتخاذ خطوة من هذا النوع فعليك أن تقول إنك تسعى إلى صلح منفرد مع اسرائيل ليحسب لك أنك كنت صادقاً، ولكن أن يكون

قد مضى عليك ٦ سنوات مثلاً قبلها «تضحك اسرائيل»، والناس لا تعرف، فجأة تصور الأمور للناس على أنها فكرة هبطت عليك اليوم فقط، فأخذت طائرتك وسافرت للقدس... إذن إذا كانت المسائل وصلت إلى حد أن القوانين والدستور والقواعد الاستراتيجية المستقرة والحقائق التي بنيت عليها، كل هذا يمكن أن يخضع للهوى والمزاج إلى هذا الحد، فما الذي يمنع أحداً من أن «يخبط» مليون جنيه أو ١٥٠ مليوناً.

وباختصار فإن ما يحكم مجتمعاً ما هو مجموعة القيم فيه وليس فقط القانون أو الدستور. وعندما يسود منطق أنك فوق القانون وفوق الدستور وفوق كل الاستراتيجيات يصبح طبيعياً أن يحدث من الآخرين أي شيء، بمعنى أن ما اعطى أنور السادات وضعاً يقفز به فوق التاريخ بهذا الشكل وبكل هذه البساطة يعطي أخاه التصور بأن من حقه أن يقفز فوق ظروفه ليصبح مليونيراً.

● **بعد مرور خمس سنوات على مبادرة الرئيس السادات. كيف تفسر مشاعر المصريين وقتها؟**

■ بلا جدال، أعتقد أنه كان هناك تأييد عارم لأنور السادات. لكن المسألة هنا ترجع أيضاً إلى عقلية التليفزيون السائدة والتي من خلالها توَضَّع الناس تحت مؤثرات لا علاقة لها بالحقيقة. وهذا يمكن أن يحدث لفترة من الفترات.

الشعب المصري قيل له حدوتة السلام والرخاء، فقام بدور جحا الذي خطب بنت السلطان دون أن يراها وعندما كشفت وجهها وجد أمامه وجه بيغن فهرب. ومع ذلك ظل الشعب المصري لفترة طويلة يتصور أنه يتزوج بنت السلطان الأميركي، وأنه يعمل صلحاً مع أميركا. وهذا معناه الفلوس والسلام والرخاء، وأنه لا داعي لوجع الدماغ والقلب.

لكن لو أنك وضعت الموضوع للشعب المصري في صورته الحقيقية، وقلت له إنك تريد صلحاً منفرداً مع اسرائيل، وهذه الشروط المطروحة أمامي، تصبح المسألة قضية عقلانية تحمل الصواب والخطأ. لكن أنت تفعل ذلك، بل ادخلت العالم كله معك في مهرجان جنَّدت له كل الوسائل كما لو أنها ليلة الفرح.. فرح

السلام والرخاء. فأنت لم تطرح على الناس كل حقائق الموضوع، وإنما مرة واحدة وكأنه إلهام السماء هبط عليك، فوجدت الطريق للسلام والرخاء.

وهنا يجب أن نلاحظ أن ذلك يحدث في نوفمبر/ تشرين الثاني ١٩٧٧، وكانت مصر في يناير/ كانون الثاني ١٩٧٧ قد شهدت تلك الأحداث التي جاءت من الاجهاد الاقتصادي للناس. المؤكد أن هناك صلة بين التاريخين. في أول السنة مشاكل ثار لها الناس ولم تتمكن من حلها، وتأتي في نهاية السنة لتقوم بهذا المهرجان بمثل هذا الشكل.

● ولكن قيل وقتها في مصر إنه كان هناك مشروع اسرائيلي، وعرض على السادات قبل مبادرته بالذهاب إلى القدس المحتلة.

■ مع الأسف كانت هناك اتصالات مستمرة وطويلة لم يأت بعد الوقت المناسب للحديث عنها، ولكن لم تكن هناك أية مشروعات. وكنت أتمنى لو ان الرئيس السادات سألهم في اسرائيل أو حتى خلال تلك الاتصالات السرية عن تصورهم للسلام، لكن هذا لم يحدث.

كل ما حدث أنه، كما قال، ذهب ليسأل (الرئيس الروماني) تشاوشيسكو هل يستطيع أن يصنع السلام مع بيغن؟ وهل هو قوي إلى درجة كافية داخل حزبه؟ وهل هو راغب في السلام؟ كل هذه الأسئلة لتشاوشيسكو، رغم الاتصالات التي بينهما، وهي اتصالات مباشرة وغير مباشرة.

● ما هي حدود علاقة المصلحة بين الولايات المتحدة ومصر؟ وما هي أفضل الطرق لادارة هذه العلاقة مع الحفاظ على استقلال القرار الوطني؟

■ عندما تحدثت عن تحييد أميركا كان الرئيس السادات أول من ثار ومعه عدد كبير جداً من الأصدقاء، رغم أنني كنت أطالب بتحييد أميركا وليس بحيادها. وقلت إن هناك فرقاً كبيراً بين التحييد والحياد، وإن التحييد موقف تفرضه بإمكانيات القوة على طرف آخر، في حين أن الحياد موقف يختاره الطرف الآخر.

وأميركا لا يمكن أن تكون محايدة تجاه اسرائيل لأنها بالفعل منحازة إلى

جانبها. ومع ذلك تظل الولايات المتحدة الأميركية، مثلها مثل الاتحاد السوفياتي، حقيقة أساسية كقوتين لهما في هذا العالم وضع لا يستطيع أي عاقل أن يتجاهله. كل منهما دولة أعظم، وليست عظمى، وكل منهما يمثل عقيدة اجتماعية ونظاماً اجتماعياً. وكل منهما يمثل قوة لا قبل لأحد بمواجهتها. وكل منهما، بحكم هذه العوامل، موجود داخل كل بلد. في كل بلد حزب رأسمالي وحزب شيوعي. وهناك أقمارهما الصناعية في سمائك ووسائل تسمّع تصل إلى أي مكان.

وقد كشفت واقعة للجاسوسية في إنكلترا عن أن الأقمار الصناعية أصبحت قادرة على التقاط حتى أصوات المتحدثين داخل غرفة مغلقة، بل إن الأقمار الصناعية الأميركية التقطت لحساب المخابرات الأميركية مكالمة تليفونية لبريجنيف من تليفون سيارته مع الكرملين أثناء عودته من إجازة ريفية.

وهل تعلم مثلاً أن اسرائيل كانت تلتقط كل اتصالات الشرطة المصرية وتعتبرها أحد المصادر الهامة للمعلومات، وتقوم بحل الشفرات عندنا، وهذا ما كنا نفعله نحن أيضاً في مصر. كل هذا كان متصوراً ولكن كان من غير المتصور أن تصل إلى مرحلة التقاط حديث يدور في غرفة مغلقة.

المهم من ذلك أنه يجب أن تكون لك علاقة متوازنة مع هاتين القوتين الأعظم واللتين هما موجودتان بالفعل في سمائك وحياتك. والغلطة التي نقع فيها أننا ما زلنا نتصرف كقبائل. كل واحد يهمس في أذن الآخر، ويتصور أنه بذلك أصبح سياسياً، في حين أنه لم يعد ممكناً أن يدور أيّ شيء في الخفاء.

نعود إلى أميركا وروسيا، ونقول إن الضمان لدى أي طرف في التعامل معهما، هو أن تكون له رؤية حقيقية لمصالحة مبنية على ثوابت التاريخ والجغرافيا، ثم يدير عملية رعاية مصالحة في ضوء المتغيرات التي تحدث في أي وقت، وأن يعلم أنه ليس هناك سر أمام القوتين الأعظم. وبالتالي لا بد أن يكون تعبيرك عن مصالحك دقيق وأمين، وأن تكون صداقاتك أيضاً واضحة وأمينة، وأن تكون تحالفاتك واضحة وحقيقية.

من هنا فإن العلاقة الصحية مع أميركا، كما نسميها، لا بد لها من الوضوح

والاشتراك مع آخرين يمثلون نفس المقدرة، سواء كعالم عربي أو كدول عدم الانحياز. ثم لا بد أن تكون لك علاقة واضحة وخالصة مع الآخرين في مواجهة الطرف الأخير.

أما ضمانك فهو أن تعبر تعبيراً حقيقياً عن مجمل حقائق جغرافيتك وتاريخك. في هذه الحالة فقط تستقيم علاقتك مع أميركا وتستقيم علاقتك مع الاتحاد السوفياتي.

● **بمناسبة تغيير القيادة السوفياتية بتولي يوري آندروبوف الامانة العامة للحزب الشيوعي السوفياتي، هل تتوقع تغييراً في السياسة السوفياتية؟ وهل كان مجيء آندروبوف على رأس السلطة في الاتحاد السوفياتي مفاجأة باعتباره رجل أمن؟**

■ مسألة مجيء آندروبوف مَفْهومة خطأ، لأن التصور الذي صاحب مجيء آندروبوف هو أن المباحث قفزت إلى رئاسة الدولة السوفياتية وهذا ليس صحيحاً، لأن آندروبوف كان يشغل في الاتحاد السوفياتي نفس الموقع الذي كان يشغله كيسنجر مثلاً في الولايات المتحدة الأميركية، فهو مسؤول عن أمن الدولة وأمن الحزب ضمن مسؤولياته، بالاضافة إلى أنه أحد العناصر السوفياتية الموجودة المشاركة في القرار السوفياتي.

أما عن تصور حدوث تغيير جذري في السياسة السوفياتية، فهو أمر غير وارد بالنسبة لدولة عظمى كالاتحاد السوفياتي، لها ارتباطاتها ونظامها وتحالفاتها الخارجية، ولها في الداخل مؤسساتها وقوانينها وقواتها المسلحة والحزب... هذا التصور يسري فقط على الدول المتخلفة التي تتغير سياساتها مع تغير الأشخاص. أما في الدول العظمى فإن النغم الأساسي لها يظل ثابتاً وكل ما يتغير هو فقط التنويعات.

آندروبوف لفت نظري لأول مرة عام ١٩٧٠، وإن كنت قد التقيت به قبل ذلك في عام ١٩٦٨، ولكنه جذب اهتمامي خلال حوار طويل ركز فيه على التأثير الكبير

للاعلام ووسائل الاتصالات الحديثة على مفاهيم الناس. وكان مثل هذا الحديث جديداً في ذلك الوقت.

وكان تصوّري أنه يتحدث بأكثر مما تسمح به الظروف، وظللت بعدها أتابعه. وعلى أية حال، فقد قلت منذ خمس سنوات في كتاب «العرب والسوفييت» أن آندروبوف هو الرجل القادر في الاتحاد السوفياتي. وقد عادت إحدى الصحف الغربية أخيراً لتعيد نشر ذلك مرة أخرى. وقالت هناك كاتب عربي تنبأ بذلك منذ خمس سنوات.

● القضية الفلسطينية أين موقعها في محنة الواقع العربي اليوم، ولا سيما بعد الغزو الاسرائيلي للبنان؟

● قضية فلسطين لا يمكن النظر إليها كقضية خارجة عن أوضاع العالم العربي، بل إنها تكاد أن تكون القضية المحورية التي دار حولها الصراع العربي كله أو كل الحركات السياسية العربية. كلها دارت بشكل أو بآخر حول قضية فلسطين.

وكان الشعب الفلسطيني في هذا هو الموضوع، وكان للثورة الفلسطينية دور. لكنه رغم قيمته المعنوية، لم يكن دوراً ضاغطاً ومؤثراً من غير حدود. لماذا؟ لأن الثورة الفلسطينية من الناحية العملية هي أول ثورة في التاريخ تقع كل أرضها تحت الاحتلال، ويقع شعبها أيضاً تحت الاحتلال. ووجودها في دول خارج أرضها بعيداً عن شعبها وبالتالي تحت رحمة سلطات متعددة ومختلفة، فرض عليها أن يكون قدر الحرية المتاح لها من الحركة مرهوناً بهامش الاتفاق أو هامش الاختلاف ما بين الدول العربية.

ولكن القضية الأساسية هي الوضع العربي كله. وأنا هنا أستطيع أن أقول إن الوضع العربي واجه مشكلة كبيرة، وهي أن السياسة بعد عام ١٩٧٣ قصّرت في حق السلاح، فمنذ عام ١٩٦٧ لم يكن السلاح في مستوى السياسة. ومن هنا فإنه في عام ١٩٧٣ يمكن أن نقول إن النتائج التي حققها السلاح ضيّعتها السياسة، بمعنى أنه عندما أنجز السلاح مهمته تصوّر كل فرد، وكأننا في سفينة اقتربت من البر، أنه يمكنه القفز قبل الوصول إلى البر تماماً، وأنه يريد أن ينجو قبل الآخرين ويسبقهم

في الوصول إلى الشاطىء. وكانت النتيجة أن كثيرين غرقوا، وأن الريح سحبت السفينة كلها إلى الوراء مرة أخرى.

ومن هنا فإن أزمة العمل العربي كله تنعكس في أكثر البؤر حساسية، وأكثرها بالقطع هو في تلك الدول التي تعيش على توازنات دقيقة، وأولها لبنان.

ورغم أنني من أكثر الذين يحبون لبنان ويقدرون دوره، وأعتقد أنه لو لم يكن هناك لبنان لوجب على العالم العربي أن يخترع «لبناناً» فإن لبنان كان مهيأ لأن تظهر عليه أعراض الحمى العربية. ومثل أي جسم يتعرض للحمى فإنها تبدأ من أضعف نقطة فيه، ولبنان في الأمة العربية كان هو هذه النقطة. وهذا الضعف جاء نتيجة للتناقضات السياسية والاجتماعية في العالم العربي.

صحيح أن الثورة الفلسطينية بعد خروجها من الأردن إلى لبنان خلقت المزيد من التناقضات، لكن الأزمة بالدرجة الأولى هي مجمل الأوضاع العربية. فبعد أن وضع العالم العربي كل طاقاته في معركة جاءت السياسة لتجهض نتائجها.

ومرة أخرى أقول إن الموقف الفلسطيني والشتات الفلسطيني تعبير حقيقي عن الموقف العربي والشتات العربي، وأنه لا بد أن ندرك أن الثورة الفلسطينية في أصعب موقف تواجهه أي ثورة. وإذا قارنتها بالثورة الجزائرية مثلاً، فإن الصورة تقول إن الشعب الجزائري موجود على أرضه، والتوازن السكاني بينه وبين القوى المحتلة واحد إلى عشرين، لأن الشعب الجزائري وقتها كان تعداده نحو عشرة ملايين والقوات الفرنسية في حدود نصف مليون، ثم إن رقعة الأرض كبيرة جداً. والشعب على أرضه، والقيادة من الداخل.

أما صورة الثورة الفلسطينية فتقول إن كامل التراب الفلسطيني محتل، ورقعة الأرض ضيّقة، والتوازن السكاني لصالح المحتل لأن هناك ٢,٥ مليون اسرائيلي في مقابل مليون أو مليون ونصف مليون عربي، بما فيهم الموجودون في الضفة الغربية، فضلاً عن أن الأرض مكشوفة والقيادة في الخارج، وهو وضع يشبه وضع مَنْ يسير على إفريز مبنى يهدده السقوط في أي وقت.

من هنا، فإن ظروف ما جرى بعد ١٩٧٣ تعني أن المنطقة اليوم في «الحقبة الاسرائيلية» لأنك أمام دولة واحدة لها كل عناصر القوة، وأولها قوة التصرف على أي جبهة حولها دون أية إرادة مقابلة تكبحها. وكان لبنان هو أكثر المناطق جاذبية في الوقت الراهن لأطماع الامبراطورية الاسرائيلية بصرف النظر عن فكرة الدويلات المطروحة.

المهم أنه عقب تراجع الحقب العربية المختلفة فنحن أمام حقبة الامبراطورية الاسرائيلية. ومن هنا فإن ما جرى في لبنان ليس سوى تفاصيل للحقيقة الأساسية، وهي سقوط الحقبة القومية العربية نتيجة عجزنا عن استثمار ١٩٧٣ وتراجع الحقبة النفطية، وظهور بدلاً منها القوة الوحيدة القادرة اليوم على فرض إرادتها وهي اسرائيل. وكل ما تراه وما سوف تراه في المستقبل القريب على الأقل هو التفاعلات الناشئة عن ممارسة هذه القوة الامبراطورية لدورها، ثم مقدرة الأطراف العربية وأولها مصر على التصدي لهذه القوة الامبراطورية.

● **إذن في رأيك، نحن نعيش في الحقبة الاسرائيلية، فكيف يستطيع العرب التصدي لها وتغيير هذا الواقع؟ وما هو دور مصر في ذلك؟**

■ مسألة قيام مصر بهذا الدور مرهونة بالصراعات. ولكن المؤكد أن مصر هي الدولة الوحيدة القادرة على التصدي للمشروع الامبراطوري الاسرائيلي. وإنما متى تعود مصر إلى ممارسة هذا الدور، فهذا مرهون بعوامل كثيرة.

ونظرة واحدة إلى ما يدور ترى من خلالها أميركا تطالب باعتراف واضح وصريح باسرائيل في مقابل لا شيء، بمعنى أن كل ما يخصنا لا بد أن نتفاوض عليه، وكل ما يخص اسرائيل لا بد أن يبدأ وينتهي قبل أن تبدأ المفاوضات. نحن نعترف بإسرائيل مقدماً، واسرائيل تبحث موضوع الاعتراف بالفلسطينيين أم لا على مائدة المفاوضات.

ورغم الاعلان المسبق بأنه لا اعتراف، ولا دولة فلسطينية ولا عودة لخطوط ما قبل ١٩٦٧، فإننا نتحدث عن مشروع قمة فاس، ونمزجه مع مشروع أو مبادرة

أو من سيناء، إنما عدم الحركة أحياناً يصبح أكثر جدوى من تلك الحركة العصبية والتي قد تدفعك إلى كارثة.

ولكن من المنطقي أن تقول إن حسني مبارك بعد استرداد سيناء أصبحت أعصابه وأعصاب مصر كلها أكثر هدوءاً وترتب على ذلك إلى حد ما أننا لم نفعل شيئاً أو نأخذ مبادرات صحيحة في موضوع لبنان. واعتقادي أننا قصَّرنا، ورغم ذلك فإننا على الأقل لم نقع في مزيد من الأخطاء، ولم نعد بشيء لا نستطيع الوفاء به. ربما كانت الغلطة الوحيدة التي وقعنا فيها هو أننا أعطينا للفلسطينيين احساساً بأنه من الممكن أن نقبل عدداً منهم ثم لم نفعل ذلك.

إذن في مجمل الظروف، لا أعتقد ان الموضوع هو موضوع سيناء وعودتها، بصرف النظر عن قيمته. ولكن قضية ارادتها أكبر من عودة سيناء. ويمكن أن يتحدد تأثير عودة سيناء في أن صانع القرار المصري أصبحت أعصابه أكثر هدوءاً، وبالتالي أصبحت تصرفاته خالية، على الأقل، من عنصر المغامرة.

وإذا كان المنتظر من مصر أن تضغط على الاميركان ليمارسوا تأثيرهم على اسرائيل، فالسؤال هو بماذا تضغط مصر على أميركا وهي لا تنتظر منها سوى الاعانات ولا تجد مبرراً لاستفزازها؟ إذن لم يكن لدى مصر ما يمكن أن تفعله. ومن هنا فإنه لا يصح أن نقول إن مصر بسيناء أو من غير سيناء، لأن القضية مرة أخرى أكبر من ذلك. هي قضية مصر خلال شخصين وعهدين، شخص أنور السادات وعهده، وشخص حسني مبارك وعهده. شخص أنور السادات يتصور أنه النجم والبطل الذي يستطيع أن يفعل ما يشاء، وشخص حسني مبارك يعتقد أنه بشر ويتصرف داخل حدود.

وإذا قلت إن حرية الحركة كانت متاحة بشكل أفضل قبل استرداد سيناء أقول لا. المسألة ليست مجرد الحركة، فهناك نوع من الحركة يدفعك إلى كارثة، ومن هذا النوع من الحركة البادرة على سبيل المثال وكامب ديفيد.

المهم ليس مجرد الحركة ولكن في أي اتجاه هذه الحركة، مع الأخذ في الاعتبار أن مجمل الظروف في المنطقة لا تعطي لمصر «كروتاً» تتحرك بها، لأن

الرئيس السادات قبل موته انتهى من توزيع «الكروت» في أيدي الآخرين، لأنك في النهاية وقّعت صلحاً منفرداً مع اسرائيل وهذا «كارت»، ثم تركت «كارتك» السوفياتي، وتركت كارتك العربي وتركت كارت عدم الانحياز. في النهاية وزّعت كل كروتك بكرم وسخاء وبلا مقابل كأنك أمضيت سهرة لعبت فيها وفقدت كل رصيدك.

لذلك كله فإن الحديث عن مصر بسيناء أو بدون سيناء وعلاقة ذلك بحرية الحركة خطأ من أساسه، لأن المسألة، كما قلت، هي مسألة الفرق بين نظامين ومزاج وتكوين رجلين.

ومن هنا، فإن مصر بحكم الظروف التي كانت وما تزال قائمة في أعقاب كامب ديفيد، لم يكن مطلوباً منها أن تقف أكثر مما فعلته في موضوع لبنان لأن الظروف لم تكن تسمح لها بأكثر من ذلك.

أعود فأكرر أن المقارنة بين وضع مصر بسيناء أو بدون سيناء فيها مغالطة شديدة. وببساطة رداً على ذلك فإن مصر بدون سيناء وتحت الاحتلال في عهد أنور السادات ذهبت إلى كامب ديفيد وقبلها إلى القدس وقطعت فيها علاقاتها مع السوفيات تماماً. وفي عهد مبارك وفي حالة اللا احتلال تقول للأميركان: لا لن نذهب إلى القدس بعد أن أعلنتها اسرائيل عاصمة لها، رغم أن جزءاً من سيناء كان ما يزال تحت الاحتلال في ذلك الوقت، ورغم أن السادات سبق له الذهاب إلى القدس.

إذن المسألة هي الرؤية، والعلاج، والنظام، والشخص، في ظروف العالم الثالث الذي تتغير فيه السياسات بتغير الأشخاص.

في مواجهة زوابع التحريض على «خريف الغضب»

كان الهدوء الشديد الذى يسود غرفه مكتب محمد حسنين هيكل متناقضًا تماما مع زوابع التحريض على كتابه « خريف الغضب » ، التى هبت من صحف الحكومة طوال ما يقرب من أسبوعين ، صدرت خلالها مئات البلاغات العسكرية ضد الكاتب وكتابه . والبقية تأتى

● جريدة الأهالى ـ ٨٣/٤/٢٧ ـ صلاح عيسى

قال رداً على ملاحظتي:

- إن ما نشر من هجوم على «خريف الغضب» في مصر وحدها، يوازي حتى الآن ثلاثة أمثال حجمه، واتنبأ أن الحملة ستستمر وتتصاعد إلى أن تصل إلى عشرين مثل حجم الكتاب!

● **قلت: يبدو أن ابتسامتك أقوى من الزوابع؟**

■ قال محمد حسنين هيكل:

الواقع ألا زوابع هناك، فهي موجودة فقط في رؤوس الغاضبين المحرضين والصاخبين، وأعتقد أن منظرهم غريب أمام الناس، إننا في الحقيقة أمام مسرحية عبثية من الطراز الأول، فأمامك قوم غاضبون متشنجون يحرضون الناس ضدي وضد الكتاب، ويستنطقونهم، ويبتزونهم ويحرجونهم ويزورون أقوالهم، ويسوقونهم سوقاً للهجوم على كتاب لم يقرأه كاملاً أحد من الذين يهاجمون ولا يكاد أحد من الذين يقرأون الهجوم قد اطلع على شيء منه!

إن الهجوم على خريف الغضب، هو هجوم على شبح، فالطبعات الأجنبية السبع من الكتاب التي صدرت في ٢٤ ابريل الحالي والطبعة العربية لن تصدر قبل منتصف مايو. وما نشر من الكتاب في العالم العربي لم يتجاوز ربعه فعلى أي شيء يعلق المعلقون؟ وأي كتاب يهاجمون؟. أليس هذا عبثاً؟. هل أنا الذي خنت أمانة القلم، أم أن الذين يطالبون بمصادرة حقي في أن أكتب، مصادرة تمتد من داخل الوطن إلى كل حدود الدنيا، هم الذين يخونون تلك الأمانة؟. هل أنا الذي خرجت عن ميثاق الشرف الصحفي، أم أن الذين فعلوا ذلك ويفعلونه، هم الذين يهاجمون

ما لم يقرأوه، ويحرضون على مصادرة الكتب والأفكار. . أليس هذا ـ مرة أخرى ـ عبثاً!

● **ولكنك ـ يا أستاذ هيكل ـ كنت تتوقع تلك الحملة على الكتاب وقد سبق أن حدثتني عن توقعاتك قبل بدئها، بل وحددت توقيتها، وأشهد أن نبوءتك صدقت. . بكل تفاصيلها.**

■ . . ذلك أيضاً تشهد به مقدمة الطبعة الدولية للكتاب، وقد نشرتموها في الأهالى . نعم أننى كنت أتوقع أن يثير الكتاب حملات من الهجوم الضارى . وفى مقدمة الطبعة العربية إشارة مشددة ومؤكدة إلى الريح القادمة ، ولم يكن الأمر فى حاجة إلى بعد نظر ، ولكن إلى نظر فى الأمور فقط .

والواقع أنني لم أتضايق من الحملة المركزة التي شنت ضدي، ولكن أكثر ما ضايقني كان محاولة حسنة النية للوقوف بجانبي، اختارت لها عنواناً «هيكل يدافع عن نفسه» ومع الأسف فإن ذلك لم يحدث على النحو الذي قيل إنه حدث مع تقديري لسلامة دوافع القائلين، فلست في حاجة للدفاع عن نفسي، لأن موضوع القضية هو خريف الغضب، وقد صودر الكتاب، ولهذا فلا قضية هناك.

● **الواقع أننا كنا في الأهالي نغلب جانب التفاؤل، ونعتبر أن نشر كتابك والحوار حول ما فيه، سيكون ذا دلالة على صحة المناخ الديمقراطي في مصر الآن، ويبدو أننا كنا مسرفين في التفاؤل!**

■ إنك بالطبع تعرف أنني لم أكن على علم مسبق بنية الأهالي محاولة نشر الكتاب، عرفت قبلها بيومين فقط أنكم بالترتيب مع جريدة «الوطن» سوف تحصلون على فصول الكتاب. ولا أخفي عليك أنني قدرت ذلك من جانبكم وشكرته في نفسي، فأنتم بذلك تقومون بمخاطرة فقد كنت واثقاً أن تدخلاً سوف يحدث بشكل ما في لحظة ما، ولم أتصور على الاطلاق أن يكتمل نشر الكتاب. لا أستطيع وأنا أتحدث عن حقوق الحرية، أن أنسى أحكام الأمر الواقع وإلا كنت أترك نفسي للسراب! . وقدرت وشكرت أنكم بنشركم فصول الكتاب سوف

تتنازلون عن مساحات كبيرة من جريدتكم، وهي جريدة حزبية، لكاتب لا ينتمي إلى الحزب. وبالتالي فهو ليس ملتزماً بخطة العام.

● **إن الأهالي لا ترى تناقضاً بين كونها جريدة حزبية، وبين أن تتيح لكل أصحاب الآراء فرصة التعبير على صفحاتها، مهما اتسعت مساحة الخلاف بيننا وبين أصحابها، وقد سعت لنشر كتابك، لأن من حق الناس أن يقرأوه وليس في هذا مصادرة على حقهم أو حق الأهالي في الاختلاف معه.. ومن نفس المنطلق سعينا لكي نسمع ردك على الحملة..**

■ لا بد أن أكون واضحاً معك، فأقول إنني لا أرد على حملات، إذا كان هناك حوار موضوعي فإنني على استعداد له، وأما حين يصبح الأمر شتائم وسباب فإن المسألة تختلف، بعض ما كتبوه عني يشكل قذفاً صريحاً، وقد طالبني بعض أصدقائي من المحامين أن أرفع قضية قذف، وناقشتهم طويلاً، كان من رأيي أنني لا أستطيع أن أكون طرفاً في أي شيء، ولا حتى فى خصومة، مع بعض الناس، هذه ليست فقط قضية كبرياء. ولكنها أيضاً قضية حقيقة. فأنا لا أعتبر أن ما قيل عني - خصوصاً من قائلية - يمكن أن يسبب لي ضرراً بل العكس.

● **لماذا كنت تتوقع الحملة على الكتاب في مصر؟**

■ كنت أعرف أن الحملة علي وعلى الكتاب سوف تكون بدعوى الوفاء والحرص على ذكرى ما فات بما فيه حرمة الأموات، وهو ادعاء حق يراد به باطل، الحقيقة أن هناك مصالح واقدار ومقادير تريد أن تحافظ على نفسها وليس على أنور السادات. أمس فقط رآني مواطن مصري بسيط وأقبل علي مشجعاً يقول لي: لا تخف من أحد. الحقيقة كلها ظاهرة أمام الناس. الحقيقة فى القفص وكلنا نراها فى عصمت السادات، ولا نحتاج غير ذلك إلى شيء.. إن ما قاله هذا المواطن البسيط لي، هو الحق مقطراً وصافياً، فحيثيات الحكم التي أصدرها قاض نزية صنع بها تاريخاً جديداً في القضاء، وحول قانونا أريد به أصلاً أن يكون أداة بطش، فجعل منه باب عدل أوضح وأصرح من أي شيء يمكن أن يقوله كتاب أكتبه أنا أو يكتبه غيري من الناس.

إن حيثيات الحكم حسمت في منطق عصر بأكمله، لكن بقايا القوى والجماعات المستفيدة من ذلك العهد لا تزال تحارب معركة بقائها، وأظن أن ما قلته في خريف الغضب يمس كثيراً من النقط الحساسة بالنسبة لهذه القوى والجماعات وحين علمت بقرار مصادرة «خريف الغضب» لأسباب أمن، فإني كنت على استعداد لأن أفهم بل وألتمس الأعذار للقرار مع أسفي له، وأعترف لك أنني ابتسمت عندما أخبرني أحدهم بقرار المنع وهو يضيف أن هناك قصة عنوانها «الشمس لا تشرق مرة واحدة».

هناك أيضاً الذين انتهزوا الفرصة من الكتاب المحترفين، لتصفية ما يعتبرونه حسابات معي، وهؤلاء يقولون إنني كنت الكاتب الأوحد، وأنني غاضب لأنني فقدت هذه المكانة.. وأنا لم أكن كاتباً أوحداً، فقد كانوا جميعاً يكتبون وينشرون.

وليس بينهم من لم أقف معه في أحلك الظروف ولم أفعل كل ما في وسعي لمساعدته ولولا أنني لا أريد أن أمن على أحد، لذكرتهم لك واحداً واحداً وبالاسم ورويت ما قدمته لهم.

● **ولكن الحملة على الكتاب تجاوزت أصحاب المصالح في مصر، واشتركت فيها أقلام عربية، ثم إنها أيضاً انتقلت إلى الغرب ذاته، فما هي دوافع الحملة هناك في رأيك؟**

■ ليس لي أن ألوم الغرب، فهذا رجل بدا لهم صديقاً على استعداد لأن يعطيهم كل ما يطلبونه وأكثر في منطقة كانت بالنسبة لهم مصدر خطر وقلاقل، وعندما سلمت مخطوطة كتاب «خريف الغضب» لمجموعة الناشرين الدوليين التي تملك حقوق نشر كتبي، قلت لهم: إن هذا الكتاب سوف يكون صدمة للقراء في الغرب، وإنني أتوقع أن تكون التعليقات عليه شديدة، ونبهتهم إلى أن الناشرين الأمريكيين قد يجدون صعوبة في نشره، لأنه يحمل الولايات المتحدة الأمريكية ووسائل الاعلام فيها بالذات، جزءاً كبيراً من الظروف التي أدت بالسادات إلى النهاية المأساوية التي انتهى إليها. وقد ظللت أتابع باهتمام لم أشعر به من قبل حركة

التعاقدات على هذا الكتاب الجديد في اللغات المختلفة في الغرب. وحين عرفت أن إحدى كبريات دور النشر الأمريكية وهي «راندوم هاوس» قد سارعت إلى الحصول على حقوق الكتاب فلقد أحسست أن الاعتبارات المهنية غلبت على الانطباعات الغريزية..

والواقع أن هناك فارقاً بين تناول الصحف الأمريكية للكتاب، وتناول الصحف الرسمية المصرية له، فالقارىء الأمريكي يقرأ الكتاب في الوقت الذي يقرأ النقد له، والذين نقدوا الكتاب في الصحف الأمريكية، وافقوني على بعض ما فيه واختلفوا معي على بعضه الآخر، إن مجلة «نيوزويك» الأمريكية مثلاً، خصصت للكتاب كل المساحة المخصصة لباب الكتب، وهذا دليل على تقديرها لأهميته، وفي مناقشته قالت إنها لا تختلف معي في أن السادات كان كسولاً وأن حكمه كان فاسداً ولكنها ترى أنه رجل عظيم لأنه كان رجل سلام!. والغريب أن الصحف المصرية التي تنقل ردود أفعال الصحف الأمريكية، قد نقلت ما اختلفت فيه معي النيوزويك، ولم تنقل لقرائها طبعاً ما اتفقت فيه معي من آرائي في السادات!

● **هل تعتقد أن الأمريكيين الذين يصفقون لأنور السادات في الغرب، ويهاجمون الكتاب، مخلصين حقاً لذكراه؟.**

■ إن الأمريكيين لا يخدعون أنفسهم في الحقيقة، إنهم كانوا يعرفون ماذا يريدون منه، وقد أخذوا ما أرادوا أما رأيهم فيه فأمامك تعليق النيوزويك وقد يزعم الذين هاجموني أنني قلت إن السادات كان بهلواناً، لكنني لست قائل هذا الوصف، ولكنه هنرى كيسنجر، ولماذا نذهب بعيداً، دعنى أقرأ لك هذه الفقرة من مذكرات «زبيجنيو برجينسكى» الذى كان مستشاراً للأمن القومى مع الرئيس السابق جيمى كارتر النجم الآخر فى ثالوث كامب ديفيد..

يقول برجينسكي بالحرف في هذه الفقرة:

«بين كل الساسة الأجانب الذين تعامل معهم كارتر، فإن السادات كان أقربهم إليه. كان حباً من أول لحظة بين الطرفين. وليس هناك أدنى شك في أن كارتر كان مهتماً بهذا المصري الطائش والمندفع، كان يمثل خصالاً أبعد ما تكون عن خصال

كارتر الذي كان قوي السيطرة على نفسه وذا عقل أدق من جهاز كمبيوتر. وكثيراً ما جلسنا معاً، كارتر وأنا، نضحك سوياً على التناقضات التي تكشف عدم صحة أقوال السادات. وكذلك على تصوراته الجامحة، ولكننا مع ذلك كنا نعجب بجرأته ورؤيته التاريخية المبالغة في تصورات العظمة. وفي لقاء بيني وبين السادات، صفق الرئيس المصري فجاءوه بنموذج للكرة الأرضية وضعه في وسط غرفة بيته التي كنا نجلس فيها، وأمسك بمؤشر وراح يعطيني درساً فيما ينبغي أن تكون عليه الاستراتيجية الأمريكية، وكانت وصفاته جديرة بأن تجعل تيودور روزفلت ـ أشهر الرؤساء الاستعماريين ـ يبدو وكأنه حمل وديع » هذا ما قاله برجينسكي عن السادات .. وأظنه إجابة كافية على سؤالك !

● **ننتقل الآن من الحملة الغربية . . إلى الحملة العربية . . وكانت طلقة البدء فيها البيان الذي أصدرته جريدة الشرق الأوسط وأعلنت به توقفها عن النشر، فما هي الحكاية بالضبط؟**

■ أنا في الواقع لم أكن طرفاً في أي تعاقد مع جريدة الشرق الأوسط ولا مع أي جريدة أخرى عربية أو أجنبية، فأنا أتعاقد مع مجموعة الناشرين الدوليين الذين ينشرون كتبي وأعطيهم كل حقوق الطبع والنشر بما في ذلك النشر في الصحف والإعداد الاذاعي والتيلفزيوني، وبكل اللغات، وأنا أفعل ذلك لأنني لا أستطيع من حيث الجهد أو الوقت أن أتابع عملية طبع ونشر وتوزيع وحسابات كتبي في بلاد بعيدة في أنحاء العالم وأنا أشترط فقط ألا تباع لي حقوق نشر في اسرائيل، وألا تباع لي حقوق نشر في أي دولة عربية بينها وبين مصر نزاع، وبالتالي فإن العقد يمنع الناشر من أن يبيع لي حقوق نشر في ليبيا مثلاً أو غيرها، درءاً لحساسيات أعرفها، وأعترف أنني اشترط ذلك وأنا خجل، وبالنسبة لخريف الغضب فإن حقوق نشر الطبعة العربية منه في كتاب وفي الصحف قد اشتراها ناشر لبناني من الناشرين الدوليين، و«الشرق الأوسط» اشترت الحقوق منه.

وقد دهشت حين علمت من الناشر أن «الشرق الأوسط» قد طاردته لتحصل على حقوق النشر، لأن الكتاب يضم نقداً كثيراً للسياسة السعودية، ومع أن هناك ما اتفق

معه في السياسة السعودية، إلا أن الكتاب يتعرض بالنقد لبعض هذه السياسات وأنا أعلم أن الشرق الأوسط مملوكة لشخصيات سعودية رسمية..

● **يقولون إنك لعبت معهم لعبة القط والفأر؟!**

■ أنا لم أناقش أحداً منهم في حديث عن «خريف الغضب». وحين زارني أحد ناشري الشرق الأوسط في فبراير ١٩٨٢ بفندقي في لندن، وطلب مني أن أكتب لهم مقالات أسبوعية، فاعتذرت وقلت له إنني سأفقد حريتي في الكتابة عن سياسات السعودية، وأنني أعلم من السيد كمال أدهم نفسه - وهو رجل ذكي - أنه كان المالك الأكبر لأسهم شركة الشرق الأوسط قبل أن يبيع نصيبه للأمير سلمان، ومع اعترافي باستنارة الأمير سلمان، إلا أن الجريدة تظل في النهاية جريدة سعودية رسمية، وأنا لا أخدع نفسي.. وقلت له: أنا على أي حال لا أتعاقد الآن على كتابة مقالات في أي جريدة وقد توقفت عن كتابة مقالات في العالم العربي منذ يناير ١٩٨٠ وإذا كتبت فسوف أكتب في «الوطن» الكويتية، لأن الرئيس السادات مارس ضغطاً رسمياً قوياً عليهم لكي يمنعهم من نشر كتاباتي، ولكنهم رفضوا كل الضغوط.. وهو يجعلني أشعر بأن هناك ارتباطاً أدبياً بيني وبينهم...أي لعبة إذن لعبتها مع الشرق الأوسط؟ لقد كنت أستطيع أن أفهم توقفهم عن النشر فهذا حقهم، أما ما يدعو للاستغراب فهي الأسباب غير الحقيقية التي أذاعوها، أنهم يقولون إنهم توقفوا عن النشر لأن في الكتاب تطاولاً على أموات وخروجاً على أخلاق، وما أدهشني أن الشرق الأوسط نشرت الفصول الأولى عن حياة السادات وهي التي يتهمها البعض بالتطاول على الأموات، ثم توقفت عن النشر حين بدأت أتحدث عن دور السعودية في حياة السادات.

● **ما هو بالتحديد الدور الذي لعبه السعوديون في حياة السادات على النحو الذي عرضته في خريف الغضب؟**

■ الكتاب يقدم عرضاً للدور السعودي في تحويل مسار قضية الشرق الأوسط وهو دور نسج من علاقة شخصية نشأت بين الرئيس السادات إبان كان سكرتيراً هاماً للمؤتمر الإسلامي، وبين السيد كمال أدهم، صهر الأمير فيصل آل سعود - الذي

أصبح ملكاً فيما بعد ـ وقد التقى به السادات في حفل عشاء في منزل المطرب المشهور فريد الأطرش، وقد أصبح كمال أدهم بعد ذلك صهراً للملك ومديراً للمخابرات السعودية، وظلت علاقته بالسيد أدهم تنمو، حتى إن الواشنطن بوست، نشرت مقالاً في صفحتها الأولى نشر في حياة السادات، بقلم مدير تحريرها الحالي جيم هوجلاند قال فيها إن السيد كمال أدهم كان يدفع مرتباً شهرياً للرئيس السادات طوال الستينات، وهي واقعة، لم ينفها السادات في حياته، ولم يعلق عليها، بل استقبل كاتبها فيما بعد وأدلى له بأحاديث. . وعندما أصبح الرئيس السادات رئيساً للجمهورية كان كمال أدهم من أكثر الذين كانوا يترددون عليه، وكان يركز أمامه على مدى الجهود التي تبذلها السعودية لشد اهتمام الولايات المتحدة إلى حل قضية الشرق الأوسط، لكنهم كانوا يصطدمون دائماً بمشكلة الوجود السوفييتي في مصر، وقد شرح له الرئيس السادات اضطراره للاعتماد على الروس طالما أن الأمريكيين ماضون في تزويد اسرائيل بالسلاح، وقد كاشف الرئيس السادات كمال أدهم بأنه مستعد لطرد السوفييت إذا استطاعت الولايات المتحدة المساعدة على تحقيق مرحلة أولى من الانسحاب. .

وأذكر أن السيد كمال أدهم حدثني عام ١٩٧١ عن ضرورة الترتيب لتنسيق وثيق بين الملك فيصل والرئيس السادات، وأدهشني حين قال إن الرئيس السادات يرغب في أن يكون هناك اتصال مباشر عن طريق أجهزة خاصة توضع في بيتي وفي بيت كمال أدهم، لنكون نحن الاثنين قناة اتصال بين الرجلين الرئيس والملك، ولما كنت أعلم بالصلة بين وكالة المخابرات الأمريكية وبين وكالة المخابرات السعودية، فقد اعتذرت عن القبول، واستنتجت فيما بعد، أن هذا الخط قد بدأ يعمل من بيت الرئيس السادات.

وفيما بعد استطاعت السعودية عبر علاقتها بالسادات أن تدفعه لكثير من التصرفات التي أعتقد أن الساسة السعوديين نادمون عليها اليوم، لقد كانوا قلقين جداً مما يسمونه الخطر الشيوعي في المنطقة، وكانوا يريدون إخراج السوفييت ولعبوا دوراً في إخراجهم سلاحاً وخبراء وعلاقات سياسية وصحيح أنهم مولوا ـ بعد ذلك ـ شراء أسلحة غربية، ولكني ممن يعتقدون أن الأسلحة الغربية لا تستطيع أن

تدافع ضد اسرائيل إنها تصلح لعمليات في الكونغو أو في الصومال أو في السودان، أما اسرائيل فإنها ستتلقى أمام كل قطعة سلاح أمريكية يحصل عليها العرب، لا ما يوازيها بل ما يتفوق عليها ويلاشيها..

والواقع أن السعوديين بهذا الدور الذى لعبوه أخلوا بالتوازن الاستراتيجى فى المنطقة وإذا كنا ـ نحن العرب ـ قد جرينا جميعاً إلى البيت الأبيض، خلال غزو لبنان نطلب منه أن يحمينا من الوحش الاسرائيلي الذي ربى في البيت الأبيض ذاته فهذه ثمرة السياسية التي شجعت السعودية السادات عليها فكان بعض ما دفعه إلى الطريق الوعر الذي انتهى بمنصة العرض في ٦ أكتوبر ١٩٨١.

وهذا الرأي هو الذي جعل الشرق الأوسط تتوقف عن النشر وهذا حقها لا أنازعها فيه ولم تكن في حاجة إلى تبريره بدعاوى عن الأخلاق وتقاليد النشر ذلك أنها لم توقف النشر دفاعاً عن القيم التي لم أهدرها، بل حرصاً على مصالح لا شأن لي بها.

● **تقول الشرق الأوسط أنها لا تريد أن تروج لك.**

■ ضحك محمد حسنين هيكل وقال:

ـ مع تقديري الشديد فأنا أتصور أنني الذي استخدمت للترويج للشرق الأوسط حتى في منع النشر ومقالاتي تنشر في الصنداي تايمز في ذات المدينة التي تصدر فيها وتوزع على ٢ مليون قارىء فلست في حاجة إذن إلى من يروج لي.

● **وما ردك على البيان الذي أصدره الأمير الشيخ «المبارك الصباح» ينفي فيه الواقعة التي ذكرتها في كتابك وقلت فيها إن السادات، حين كان رئيساً لمجلس الأمة عام ١٩٦٦ سافر إلى وشنطن وهناك التقى بالشيخ ويبدو أنه ألمح له، أن بدل السفر الرسمي الذي يتقاضاه أقل مما ينبغي، فحرر له شيكاً بمبلغ ٣٥ ألف دولار.**

■ الحقيقة أن بيان الشيخ مبارك يؤكد ما ذكرته ولا ينفيه، فقد ذكر أنه أعطى السادات المبلغ وأن ذلك تم بعلم عبد الناصر وموافقته، وهذا استشهاد بشاهد

غائب وما أعلمه أن الرئيس عبد الناصر حين علم بالموضوع سأل السادات فيه، وطلب إليه أن يعطيه الشيك لإعادته بالطريق الرسمي، ثم رأى أن الأفضل أن يعيده السادات بنفسه وقد كان ما جاء ببيان الشيخ مفاجأة لي. أن يتضح منه أن الشيك لم يعد إليه.

قلت لمحمد حسنين هيكل:

● **أنا معك في أن الحملة على الكتاب في الصحف المصرية، تبدو نوعاً من العبث ولكن هذا لا يمنع أن هناك مواطنين من ذوي النوايا الحسنة يقرأون ويتأثرون، ثم إن انحراف المحرضين بالموضوع لا يعني أن نتركهم يهيلون التراب على القضايا الحقيقية ولهذا ـ ففي تقديرنا ـ لا بد لك أن ترد.**

■ حسناً.. سل وسوف أجيب.

● **هناك من عارضوك في تناول الظروف الشخصية لأنور السادات، وقالوا إن القارىء العربي والمسلم، ليس متعود على القراءة عن هذه الجوانب الخاصة جداً من حياة الشخصيات العامة كما هو شائع في الغرب؟**

■ الذين يقولون ذلك، إما أنهم لم يقرأوا كتب المؤرخين العرب والمسلمين وإما أنهم يحتقرون عقلية القارىء المصري ولو قرأوا كتب السلف الصالح من المؤرخين مثل المقريزي وابن اياس وابن تغري بردي والسخاوي لوجدوهم جميعاً يربطون ظروف نشأة الحاكم وصفاته النفسية الخاصة بطريقته في الحكم ولو راجعت ابواب التراجم في تلك الكتب لوجدت حديثاً كثيراً عن أصول السلاطين الأسرية وزوجاتهم، وأهوائهم وكل ما له تأثير على قراراتهم ومع أنني لست مؤرخاً ولا أزعم لنفسي مكانة هؤلاء المؤرخين العظماء فلست إلا صحفياً يكتب عما شاهده ويحلل ما عرفه إلا أن قولهم هذا ليس صحيحاً. بل إن المصريين العاديين في كل العهود لم يكفوا أبداً عن الاهتمام بسلوك حكامهم الشخصي وهم حساسون جداً من هذه الناحية وهم أذكياء في التقاط ما هو مؤثر من الصفات الشخصية في أسلوب الحكم وفي طريقة ادارته، فليس صحيحاً إذن أن القارىء العربي لم يتعود أن يقرأ عن حكامه بالطريقة التي كتبت بها. والذين يقولون ذلك في الواقع يقرون

بتميز القارىء الأوروبي على القارىء المصري. وأنه يستطيع أن يتناول حكامه بما لا يجسر عليه المصري حتى بعد أن يصبح هؤلاء الحكام تاريخاً.

● **أظن أن الذين يقولون ذلك يخلطون بين الحياة الخاصة للرجل المشتغل بالعمل العام والحياة الخاصة للمواطنين العاديين.**

■ هذا صحيح، هناك فارق بين الرجل العام والرجل الخاص، فالرجل العام يتقدم ليتحدث باسم الناس، وينوب عنهم ويتصرف في مصالحهم ويصدر قرارات تمس حياتهم اليومية ومن هنا فتصرفاته وسلوكه ومزاجه النفسي والعوامل التي أثرت في نشأته ينبغي أن تكون محل اهتمام الناس ومن حقهم أن يعرفوها ويفهموها، أما الرجل الخاص الذي يقتصر أثر تصرفاته على نفسه وعلى أسرته، فليس من حق أحد أن يهتم بما هو خاص من شؤونه إلا الذين تربطهم به علاقات مباشرة لقد ناقش المؤرخون وما زالوا يناقشون حياة الخلفاء فهل من المعقول أن يطالبنا أحد بألا نناقش حياة حاكم لم يكن خليفة وليس هو بنبي؟

حين يموت مواطن عادي وقد ترك لورثته ديوناً، يقع العبء عليهم وحدهم أما حين يتولى حاكم كالرئيس السادات حكم مصر ديونها ٣ مليارات دولار فقط ثم رحل عن الدنيا وقد وصلت هذه الديون إلى ٢٥ ملياراً خدمتها السنوية وحدها توازى ٣ مليارات دولار أى ثمانية أمثال الدين الذى بدأ به حكمه ومع ذلك من المصريين من يطالب بمصادرة حقنا فى أنْ نناقشه هل من المعقول أن يأتى كل حاكم ويفعل ما يشاء ثم يذهب فلا نناقشه فى حياته .. ولا نناقشه بعد مماته أهذا معقول ؟ !

● **يقول بعض الذين انتقدوا كتابك أنك تعمدت أن تحقر الفقر والفقراء، وأنك بما رويته عن والدة السادات كنت تتعمد الازدراء به؟!**

■ هذا فهم مغرض لما كتبت.. ثم إن النشر في مصر قد توقف بعد هذا الفصل، ولو أتيح للقراء قراءة نفس هذا الجزء من الكتاب لاكتشفوا أن تلك كلها أكاذيب، وأنا لم أعير السادات بفقره، لكنني لمته وهو الذي ظلم في طفولته وقد انحاز - حين حكم - إلى الظالمين وأخذت عليه أنه لم يقدر أمه ولم يحترم تعاستها، ولم يفهم تضحيتها، وهذا عيب فيه، لا فيها. أن الفقر ليس عاراً هذا صحيح ولكني لم أكن

بصدد إصدار حكم على الفقر ولكن بصدد تحليل تأثير ظروف طفولة قاسية على رجل حكم مصر ١١ عاماً وأصدر قرارات غيرت مسار سياسة المنطقة. وأنا مع الذين يقولون إن الحرمان قد يلد عبقرياً ولكنه أيضاً قد يلد شيئاً آخر والفيصل هو الطريقة التي يتفاعل بها الإنسان مع ما يتعرض له من حرمان أو قهر اجتماعي.

● **ما هو الخط العام لرؤيتك لأثر السادات الطفل في حياة السادات الرئيس؟**

■ هذه هي النقطة التي هربوا من مناقشتها وهناك إجابة عليها في الفصل الذي كان مفروضاً أن تنشروه في الأهالي قبل أن تهددوا، فتوقفوا النشر وهو بعنوان «الهروب إلى الوهم» ولو أتيح للناس أن يقرأوه لعلموا أنني لم أعير أنور السادات بفقره ولا بلون والدته ولكني فقط فسرت الطريقة التي تفاعل بها مع تلك الظروف التي لم يكن الوحيد الذي تعرض لها، وليس بالضرورة أن يتأثر كل الذين تعرضوا له بنفس التأثير. . وفي بداية هذا الفصل قلت ما يلي بالنص:

«إن أنور السادات وضع على كتابه قصة حياته الذي نشره في الغرب وفي مصر سنة ١٩٧٨ عنوان: البحث عن الذات. وسواء كان العنوان من اختياره أو من اختيار الكاتب الذي تولى صياغته أو الناشر الذي قام بطبعه فإن العنوان يبدو موفقاً أكثر مما كان يمكن أن يقصده أي واحد من هؤلاء الثلاثة. . أيهم لا يهم؟

إن حياته في شارع محمد بدر تركته غير قادر على الشعور بالانتماء إلى أي مكان.

(ربما كان ذلك بين الأسباب التي كانت تدفعه حتى عندما أصبح رئيساً للجمهورية إلى الترحال المستمر. . فلم يكن يستقر في مكان ولا حتى في بيته في الجيزة مع زوجته وبين أولاده رغم كل الجو المترف والسعيد الذي حاولت زوجته جيهان فيما بعد أن توفره له فيه).

كان يخاف من والده ولم يستطع أن يقنع نفسه إلى آخر يوم بأن يحبه وكان غاضباً على أمه فلم يكن في أعماقه قادراً على احترام عذاب هذه السيدة التعيسة الحظ. وقد زادت مقاومته ـ بدون داع حقيقي ـ للون الذي ورثه منها.

(لقد لعبت مشكلة اللون دوراً غريباً في التكوين النفسي لأنور السادات ولم يكن هناك ما يبرر ذلك في الواقع خصوصاً في مصر وفي العالم العربي حيث اختلطت الدماء العربية بالدماء الافريقية وتشابكت الانساب ـ لكن أنور السادات كان في أعماقه شديد الاحساس بهذه المشكلة ولعلها اختلطت في ذهنه خطأ بالعبودية، ومع ذلك فإن العبودية نفسها لم تكن ذنب أصحابها وإنما ذنب آخرين فرضوها عليهم. وفي حين استطاعت تجربة العبودية أن تلهم كاتباً عظيماً مثل ألكس هيلي بأن تكتب قصته الكبيرة «جذور» فإن أنور السادت لم يجد فيها مصدراً لالهام وإنما سبباً متصلاً للهرب حتى من نفسه).

كان تواقاً إلى عطف الناس وإلى فهمهم، وكان مستعداً لأي شيء في سبيل الحصول على قبولهم ورضاهم.

(ربما كان في هذه النقطة تفسير للطريقة التي ترك بها كل من حوله يستغلون سلطة منصبه فيما بعد دون أن يحاول وقفهم عند حد ـ بل إن ذلك زين له ألواناً من الترف كان يجب أن يرد نفسه عنها باعتباره واحداً من قواد ثورة لها مضمونها الاجتماعي. وفي الحقيقة فإن جو السلطة العليا إبان حكمه تحول إلى شبه بلاط سلطاني).

وكان ـ شوقه إلى عطف الناس وإلى قبولهم ورضاهم ـ ذلك على نحو أو آخر أكثر جوانب شخصيته جاذبية. لكن مجمل ذلك كله جعله في النهاية على استعداد لأن يعطي ولاءه لأي شخص أقوى منه تضعه الظروف أمامه. ولقد تعلم على كل حال كيف يتحمل صدمات وأحياناً إهانات، لا لزوم لها. ولما كان هناك رد فعل لكل فعل، فقد تولد في أعماق أعماقه إحساس بالحاجة إلى الانتقام مما كان يعانيه، وهذا هو ما ولد لديه نزعة العنف المكبوت الجاهز للانفجار دواماً إذا أحس أن عواقبه مأمونة. وعلى أي حال فلم يكن أمامه في تلك الأيام غير محاولة الهرب، والهرب المستمر إلى عوالم من صنع الأحلام والأوهام».

هذا ما قلته في الكتاب، فأي عبارة من ذلك يمكن اعتبارها معايرة بالفقر أو بلون الأم، أو تحقيراً لهذا وذاك؟. إن نشأة السادات المتواضعة لم تكن موضع

انتقادي لا صراحة ولا ضمناً ولا يمكن أن يكون الفقر محل انتقادي ولكني ربطت بينها وبين انتقاله حين حكم إلى مصادقة آل روكفلر وآل أوناسيس وآل بهلوي، والتأثر بأسلوب حياتهم، وذلك أمر لا يخص السادات ولكنه يخص كل مواطن في هذه الأمة.

● ولكن هناك بعض الآراء تقول إنك قدمت مأساة مصر بالسادات من جانب شخصي محض وأن كتابك لم يركز على نقد سياسات السادات بل على نقد شخصه..

والانطباع السائد عند الناس أن خريف الغضب كتاب عن حياة أنور السادات، فهل هذا انطباع صحيح؟!

■ إن الكتاب ليس قصة حياة أنور السادات كشخص وإنما الكتاب عن نهايته المأساويه وهذا منطوق عنوانه : خريف الغضب ـ اغتيال أنور السادات ـ . وهو لم يتعرض من حياته إلا للعوامل التى جعلته يتصرف بتلك التصرفات التى انتهت إلى المواجهة الدموية التى حدثت فى ٦ أكتوبر ١٩٨١ موضوع « خريف الغضب » هو : ماذا حدث وأدى إلى حادث المنصة ؟ . وشخصية السادات هى موضوع الجزء الأول منه . وقد أخذت من مفاتيح شخصيته تلك التى انتهت به إلى حادث المنصة . وقدمت وقائع بنيت عليها تحليلى . ومن حق أى إنسان أن يقول لى إن تحليلى خطأ وأن يحلل هو الآخر كما يشاء وعلى الذى يقول إن وقائعى خطأ أن يقدم الصواب .

والواقع أنني لم أعتمد فيما ذكرته عن السادات سوى ما هو مكتوب بقلمه، ومنشور أيضاً في الصحف ونقلته عنه بالحرف والفصل الخاص بعوالم الوهم التي هرب إليها بدءاً من هوايته للتمثيل ونشره رسالة في الصحف يرشح فيها نفسه لبطولة فيلم مع الممثلة القديمة أمينة محمد، ثم إعجابه بالعسكرية الألمانية وسعيه لتقمص مظاهرها، إلى تورطه في مغامرة التجسس مع الألمان، ثم انضمامه بعد ذلك إلى الحرس الحديدي الذي كان يقوم باغتيالات لحساب الملك فاروق،

وتحويله اتجاه مجموعة حسين توفيق من اغتيال الجنود الإنجليز إلى اغتيال خصوم السراي الملكية، ثم اشتراكه في محاولة اغتيال مصطفى النحاس الأولى، وفي اغتيال أمين عثمان، وفي اغتيال النحاس الثانية، كل هذه الوقائع لم أستند فيها إلا لكلام أنور السادات نفسه حرفياً..

● ما هو في رأيك تأثير هروب السادات إلى الوهم على سياساته؟

■ هذا ما يتناوله الجزء الثاني من الكتاب، وعنوانه «النهب الثاني لمصر» على أساس أن النهب الأول حدث على عهد الخديو اسماعيل، لقد نقل كارتر عن السادات قوله له: «إن البعض يتصورون أنني أحكم مصر كخليفة لعبد الناصر، ولكنني أحكم مصر بأسلوب الفراعنة، لأن هذا أقرب إلى نفسية الشعب المصرى، وكان كارتر مذهولاً من هذا الكلام». وهذه واقعة رواها لى جوزيف كرافت. وهو من ألمع الصحفيين الأمريكيين. وقد سمعها بنفسه من كارتر فى حضور برجينسكى.. وقد أشار إليها كارتر نفسه فى مذكراته، حين أومأ إلى أن السادات كان يشعر فى أعماقه بأنه أحد فراعنة مصر القديمة.

والواقع أن أنور السادات كان يتخيل نفسه خليفة رمسيس الثاني، وقد كان في رأيي أقرب إلى الخديو اسماعيل - بغير اللمسة الحضارية كعصر اسماعيل مع الأسف - فعملية النهب التي حدثت لمصر في الداخل ومن المغامرين في الخارج، أو من الشركات والبنوك، تكاد تكون شبيهة تماماً بما حدث في عهد الخديو اسماعيل، وقد تتبعت عملية النهب هذه حتى أحداث ١٨ و١٩ يناير ١٩٧٧.

واعتبرت أن شرعية النظام قد شرخت في ١٩٧٧، فحين يعجز نظام يملك في يده كل وسائل الدولة، ووسائل الاعلام، عن حفظ النظام ويلجأ إلى حظر التجول وإنزال الجيش في الشوارع بسبب اضطرابات تتعلق بالطعام، وحين يعجز نظام من اقناع الناس أو تطويعهم، فيضطر للتلفيق فتحكم المحاكم ضده، ويلجأ إلى القوة في أقسى صورها، فمعنى هذا أن شرعيته قد شرخت، وحين أراد أن يعززها بمزيد من القمع، انتقلت المقاومة من العلن الى السر، وتحول الحوار إلى قنابل وبنادق آلية بدلاً من الكلمات والخطب المنبرية!

● **معنى هذا أنك ترى أن العنف الذي التهم السادات هو أحد ردود الفعل على العنف الذي مارسه ضد الناس ليفرض شرعية مشروخة؟!**

■ الحديث عن «الأصوليين الاسلاميين» هو موضوع الجزء الثالث من خريف الغضب، فقد كانت الأصولية هي الوعاء الوحيد الذي لجأ إليه طلباً لليقين وطلباً للشجاعة جماعات كبيرة جداً من شباب مصر المسلمين، بعد أن اهتزت رؤيتهم لما هو نسبي، وما هو واقع، فأرادوا أن يلجأوا إلى اليقين المطلق، ويلتمسوا عنده الإيمان، والحديث عن الأصولية الإسلامية يرتبط تماماً بالمشكلة التي نشبت بين السادات وبين الكنيسة القبطية، وهو موضوع الجزء الرابع من الكتاب فقد حاول أنور السادات أن يتحالف مع الجماعات الاسلامية قبل أن تصطدم به، ولكن محاولته لاستغلال التيار الإسلامي أدت إلى رد فعل آخر في الكنيسة القبطية، شرحت تفاصيله في خمسة فصول وهذه مشكلة ما زالت قائمة، والبابا ما زال معزولاً، والبلد مهددة بمشكلة طائفية، لم يكن الناس سببها.

وفي الجزء الخامس من الكتاب انتقلت إلى خريف الغضب وما حدث فيه فرويت قصة صدام السادات مع كل القوى العسكرية والاجتماعية والوطنية والدينية، وما جرى من تخبط انتهى بحادث الاغتيال الذي خصصت له الجزء السادس، وختمت الكتاب بنظرة إلى المستقبل بعنوان «إلى أين من هنا».

ألا يستحق ذلك كله أن يقرأه أحد قبل أن يعلق ويهاجم، وينتزع سطراً من المقدمة ليطلقه في نفير الحرب الوهمية التي تشن عليّ.

● **يقول خصومك إن الكتاب يتضمن استهانة بحرب أكتوبر، ويهون من شأن السادات فيها وأنك صورتها كما لو كانت تمثيلية من عالم الوهم الذي قلت إن السادات عاش هارباً إليه؟**

■ ينبغي أولاً أن نفرق بين حرب اكتوبر كعمل عسكري، وبين الادارة السياسية للحرب، والاستثمار السياسي لنتائجها، إن الحرب كعمل عسكري انجاز باهر بكل المقاييس، وهي شهادة للعسكرية المصرية. وانجاز من انجازاتها العظيمة وكل صفحة من كتابي تشيد ببطولة المواطن المصري العادي في تلك الحرب، وفي

هذا الصدد أوردت لمحة من تفكير السادات نفسه عن أهداف الحرب السياسية لكن هذا شيء والطريقة التي استثمر بها السادات نتائج الحرب سياسياً شيء آخر، وحول هذا الموضوع كان خلافي مع السادات، الذي لم يكن يوماً خلافاً على إرث بل خلاف سياسي، حول استثمار نتائج نصر اكتوبر، فقد اختلفت معه منذ مباحثات فض الاشتباك الأول في نهاية ١٩٧٣، وعبرت عن موضوعات الخلاف في مقالات نشرت بالأهرام وجمعتها أخيراً في كتاب بعنوان «في مفترق الطرق».

والواقع أن السادات لم يفهم للأسف طبيعة الصراع في الشرق الأوسط، ومن هنا كانت صورته قاصرة ومشوهة وهناك وثيقة منشورة في الكتاب، وهي بخطكاتب كبير هو توفيق الحكيم وهو شاهد عليها. كما يشهد عليها أيضاً الكاتب الكبير نجيب محفوظ..

والحكاية أنني عدت من الصين في عام ١٩٧٣، فوجدت ضجة في مصر بسبب بيان الأدباء الشهير الذي عرف ببيان توفيق الحكيم، وكان الأدباء قد أصدروا البيان تضامناً مع الطلاب الذين كانوا يتظاهرون آنذاك ضيقاً باستمرار حالة اللاسلم واللاحرب، وبعد صدور البيان استدعى د. عبد القادر حاتم وكان قائماً آنذاك بعمل رئيس الوزراء، توفيق الحكيم ونجيب محفوظ وشخص ثالث، فناقشهم في الموضوع بناء على أمر السادات، وفوجيء توفيق الحكيم بحملة السادات تشتد ضده، وأعلن أنه طالب بالاستسلام وعدم الحرب، وحين عدت قال لي توفيق الحكيم: يبدو أن ما نقل للرئيس من أقوالي في لقائنا مع د. حاتم لم يكن دقيقاً وكتب رسالة يوضح فيها الأمر، نشرتها في كتابي، وهذه هي صورتها بخطتوفيق الحكيم أنشرها على الناس..

وقد سلمت رسالة توفيق الحكيم إلى السادات، وتوقعت أن يكذب ما بها، أو ينفي ما قاله حاتم أو يقول إنه لا يعبر عنه، ولكنه لم يفعل، ولكنه سألني عما إذا كنت قد صورتهما أم لا، وحين اصطحبت توفيق الحكيم ليقابله، لم يعلق بحرف واحد على رسالته، ولم ينف أو يستنكر كلمة مما قاله حاتم، بل أخذ يعرض عليه ماكيتاً مجسماً لمشروع الأوبرا الجديدة..

أليس في هذا الكلام الذي قيل في فبراير ١٩٧٣، وقبل الحرب، العسكرية

المصرية بنضالها وتضحياتها وشجاعتها وابتكارها؟

هل هذا كلام مرسل.. هل أروي واقعة شهودها أموات، إن توفيق الحكيم - حي - أطال الله بقاءه، فاسألوه، واسألوا نجيب محفوظ!

● **من الواضح أنك تعتبر السادات في كتابك ممن يملكون «موهبة الرجل الثاني» أي أن يخضعوا لسيطرة من هو أقوى منهم وأن هذا لعب دوراً في تصرفاته، هل تظن أن نصر اكتوبر هو الذي عمد بطولته، بحيث انتقل ليمارس دور الرجل الأول، بعد عمر كامل من ممارسة دور الرجل الثاني؟!**

■ المشكلة في رأيي أن السادات لم يفهم ماذا حدث في اكتوبر، وأنا أدعي أن هناك وثيقة هامة في الكتاب وهي صفحة كاملة من محاضر المفاوضات السرية بين الاسرائيليين وكيسنجر، وفيها يبدي كيسنجر عجبه لأن أنور السادات لم يستخدم كل الأوراق التي حصل عليها في حرب أكتوبر، ولهذا تلاحظ أنه عاد بعد الحرب يطلب نفس ما كان يطلب قبلها، ففي مبادرة ٤ فبراير ١٩٧١، كان السادات يطالب بخطوة انسحاب جزئي، وهو ما عاد إليه بعد الحرب، مع أن الحرب كانت قد غيرت وقتها موازين القوى، بسبب بطولة انجازها، واتساع الحلف القتالي العربي الذي شارك فيها. ولكن هذا التحالف جرى فكه، وعدنا نهرول إلى أمريكا نحن الذين حققنا في أكتوبر انتصار استراتيجياً.. وهذه واحدة من علامات التعجب التي يحاول الكتاب أن يبحث عن إجابة لها..

أين نصرنا الاستراتيجي؟. من علامات التعجب التي يبحث الكتاب عن إجابة أين وعد السادات لنا برخاء ١٩٨٠ نحن الذين كنا من طلائع الدول النامية كنا بلداً تضم أقباطاً ومسلمين خاضوا الحرب معاً في أكتوبر، فكيف تدهورت الأحوال إلى هذا الحد؟. نحن بلد لم تكن تعرف العنف، فكيف انتهى عهد السادات بأن يكون أول فرعون يقتل بيد أحد أفراد شعبه.

تقول إن أنور السادات بعد أكتوبر حصل على الأمان الذي كان يفقده مع الأسف الشديد لم يحدث ولست أنا الذي يقول ذلك ولكنه كيسنجر الذي يقول إن السادات لم يستخدم كل ما كان بيده من أوراق ضغط حصل عليها من نصر أكتوبر

وكان في استطاعته أن يحصل بها على انسحاب اسرائيلي إلى حدود ٤ يونيو ١٩٦٧ ولكنه كان ـ كما يقول كيسنجر ـ نافذ الصبر عجولاً، يريد أن يرى نفسه في موكب منتصر يدخل الاسماعيلية والسويس وبور سعيد يعامل معاملة المنتصر، وكانت النتيجة اتفاقات فك الاشتباك الأولى والثانية.

.. فهل ينشر أحد من الذين يهاجمون هذه الوثيقة ثم يعلق عليها!

● يقول المحرضون على الكتاب إنه صدر عن حقد على السادات؟

■ ليست لدي أي أسباب للحقد على السادات، فقد لعبت دوراً في توليه السلطة بعد وفاة عبد الناصر وأنا أعرف أسباب قصوره وتصورت أنه سوف يتطور، مع المسؤولية لأن مشكلته هي عدم احساسه بالأمان الداخلي وتصورت أنه حصل عليه بعد أن أصبح رئيساً للجمهورية، وكان اختياره هو الأمر الطبيعي بعد وفاة عبد الناصر وهذا ما استقر عليه رأي كل الذين كانوا مسؤولين آنذاك وقد ظللت بجواره وساعدت في الاعداد السياسي والاعلامي لحرب أكتوبر وأنا الذي كتبت قرار الحرب وكنت موجوداً معه طوال أيام الحرب سواء في بيته أو في غرفة العمليات.

وقد اخترت أن أترك العمل معه . وتركته واخترت موقفي لأنني ببساطة لم أكن أستطيع أن أتواطأ ضد أعظم انتصار حققه الجيش المصري في عصره الحديث.. ولكنني لم أكف عن أن أكون صحفياً حين تركت «الأهرام» وخرجت إلى الدنيا الواسعة، وكتبت للعالم كله، وهم يعيرونني الآن بأن كتبي تعطيني ايراداً عالياً وأنا أقول إن الغني هو الغني عن الناس، وقد ظللت أعيش في وطني وتمسكت بأنه لا بيت ولا عمل ولا قبر خارج مصر، وظللت أعيش من دخل ما أكتب.

وبذلك حققت لنفسي كمية من الاستقلال لا أرضى أن أتنازل عنها تحت أي ظرف من الظروف وبالتالي فلم تكن لي دوافع للحقد.

● يقولون إنك «حاقد» لأنك تركت منصبك في الأهرام؟

● أولاً هو لم يخرجني من الأهرام. نقلني مستشاراً لرئيس الجمهورية واعتذرت ثم

عرض علي أن أكون نائباً لرئيس الوزراء ثم مستشاراً للأمن القومي واعتذرت وعرض علي أن أعود إلى الصحافة شرط أن ألتزم واعتذرت. وهذا كله معروف ومنشور.

دعني أقول لك بصراحة ـ وفي نفس الوقت على استحياء ـ إن خروجي من «الأهرام» في الوقت الذي خرجت فيه، كان من أحسن ما حدث لي في حياتي. كنت قد فرغت من مهمة بناء الأهرام الحديث وكنت قد فعلت كل ما في وسعي للتبصير بحقائق الصراع في الشرق الأوسط، وكانت هناك مرحلة غريبة على وشك أن تبدأ ـ مرحلة استسلام للسياسة الأمريكية. دعني أذكرك أنني من أنصار سياسة واضحة ومستقيمة ومتوازنة مع أمريكا، ولكن ما حدث كان شيئاً آخر مرحلة الانفتاح والفساد ثم القمع ثم كامب ديفيد ثم عصر الامبراطورية الاسرائيلية مع الأسف.

كيف كان في مقدوري أن أكون شاهداً على هذا كله ومدافعاً عنه؟!

ومع ذلك، فلقد خرجت من «الأهرام» إلى العالم الواسع، حيث أقول رأيي بحرية للدنيا كلها!

● أشهد أن هذا ليس صحيحاً.. ولكنني بمناسبة الحديث عن «الحقد» أشعر أن حملة السادات عليك كانت عنيفة بشكل غير مفهوم، فهل لديك تفسير لها؟. هل لديك تفسير لعبارته الشهيرة التي قالها عنك في حملة سبتمبر من أنك عشت كفاية وغضبه الشديد من علاقتك برؤساء التحرير.. وبالملوك والرؤساء؟

■ .. بل ووصل به الأمر إلى القول بأننى ملحد وأنا أسير سجنه لا أملك فرصة الرد على تكفيره لى . والواقع أن علاقتى به كانت تختلف كثيراً عن علاقتى مع عبد الناصر لقد كنت طرفاً فى حوار مع عبد الناصر ولكن السادات الذى بدأ مرحباً بالحوار . قد انتهى بأن لم يعد طرفاً فى حوار مع أحد لا معى ولا مع غيرى . وربما كان يشعر بالفارق بين علاقتى به وعلاقتى بعبد الناصر وربما كان

إحساسه بأنني لعبت دوراً في توليه السلطة لم يكن يعطيه سعادة . فالإنسان عادة لا يسعد بأن يكون مديناً لأحد . والواقع أنه أخطأ فهم كثير من الأشياء .

أذكر مثلاً أنني اختلفت معه أول مرة، حين اتصل بي - بعد توليه بقليل - ليطلب مني أن أخصص مقالي الأسبوعي بصراحة عن جعفر نميري وقال لي إن النميري يقول إن هيكل لم يكتب عن ثورة السودان، وأنه وعده بأن أكتب هذا الأسبوع عنها وقد أبديت له دهشتي وقلت إنه ليس في ذهني موضوع الكتابة فيه عن السودان وأضفت: أخشى أن تفهم أن عبد الناصر كان يحدد لي ما أكتب فيه وهذا غير صحيح، وأنا أعترض على أن تحدد لي ما أكتب فيه فقال إنه أراد أن «يصلح» علاقتي بجعفر نميري وانتهى الموضوع عن هذا الحد، ولم أكتب مقالي في ذلك الأسبوع .

وقد تصور السادات أنه حين نقلني من «الأهرام» قد حكم عليَّ بألا أصبح صحفياً إلى الأبد ولهذا كان يغضب لأنني ما زلت صحفياً رغم تركي الأهرام وقد حدث عندما قابلت الخميني عام ١٩٧٩ في باريس ونشر النبأ، أن سأل صديقاً مشتركاً: هو محمد قابل الخميني ليه؟ وعندما قال له الصديق إن المقابلة تمت باعتباري صحفياً قال دهشاً. لكن أنا عزلته؟! ليس هذا فقط بل إن الشاه عندما وصل إلى أسوان سأل السادات عن هذه المقابلة، وهل لديه أنباء عن نوايا الخميني القادمة في ضوء مقابلتي له . . فقال السادات أن في مصر تقليد بأن يكتب كل صحفي يسافر إلى الخارج، تقريراً عن لقاءاته واتصل بي أحد كبار المسؤولين من أسوان وطلب مني كتابة تقرير ولكني رفضت وقلت إنني أكتب مقالات أنشرها ولم أكتب تقارير لأحد طول عمري وأن ما جرى في مقابلتي للخميني منشور.

وهذه وقائع ذات دلالة على طبيعة فهم السادات للصحفي، كان يتصور أن الصحفي جزء من جهاز الدولة إذا أبعد انتهى ولعله قد تضايق بشدة لأنني خرجت من الأهرام ومع ذلك ظللت صحفياً بل ولم أطلب منه وظيفة ورفضت ما عرض علي من مناصب .

وسكت هيكل لحظة قبل أن يضيف:

ـ إنني أدعي أنني لم أقل في خريف الغضب شيئاً عن السادات لم أقله وأنشره وهو موجود، ربما أكون قد توسعت فيه وهذا طبيعي لقد أدنت سياسات الانفتاح وما تقود إليه من فساد وهو حي وحتى عندما كنت في الأهرام لفت النظر إلى المحاذير التي تحيط بتجارة السلاح، وفي كتابي «الطريق إلى رمضان» تكلمت عن الادارة السياسية لحرب رمضان وهناك كتب عديدة لي جمعت فيها مقالاتي التي عبرت عن خلافي معه. منها (الحل والحرب) (وحديث المبادرة) (ورسائل إلى صديق هناك) (ولمصر لا لعبد الناصر) (والديمقراطية الغائبة والسلام المستحيل) (وعند مفترق الطرق) فليس ما بيني وبين السادات حقداً ـ من ناحيتي على الأقل ـ لكنه خلاف سياسي، وقد تعودنا أن نسمي الخلاف السياسي حقداً. لأننا لا نقبل به، ونهرب من النقاش حوله.. وأنا أكرر أنه ليس في خريف الغضب شيء لم أقله عن السادات في حياته، نعم توسعت وهذا طبيعي، لأن ظاهرة السادات السياسة قد اكتملت فصولها بحادث المنصة، فكان طبيعياً أن ترد إلى أصولها وأن تفسر ليفهمها الناس..

يسألون: لماذا لم يكتب خريف الغضب والسادات حي؟!

والرد ببساطة: لأن خريف الغضب لم يكن قد جاء بعد!

● **بمناسبة الخلاف بينكما في حياته، ما هو تفسرك للنغمة الذائعة التي روجها السادات بأن أي نقد لسياساته، هو نقد لمصر وهجوم عليها، وهي نغمة تستخدم الآن للهجوم على كتابك؟**

■ هذا جزء من تصوراته الفرعونية، ومن أوهام نظرية الحلول، أي الفرعون الذي تحل فيه روح الإله أو خليفة رمسيس، وهي فكرة هاجمتها وهو حي، وأعلنت رفضي لها، والواقع أنه كان يتصرف أحياناً وكأنه الشعب والدولة والوطن والتاريخ، ولذلك فأنا أعتقد أن أي إنسان يحاول أن يمارس المسؤولية بعد السادات سيجد نفسه في دوامة، أنا أدعي أنه ليس هناك محضر مكتوب في الدولة عن أهم الاتصالات التي أجراها أنور السادات مع كثير من ساسة العالم، ويقول كيسنجر في مذكراته، إنه كان مندهشاً جداً لأن أنور السادات كان يتفاوض معه دون أن

يكون هناك أحد يدون الحديث ليكون وثيقة رسمية من وثائق الدولة، في حين أن كيسنجر كان قد اصطحب معه من يدون اللقاء. لو أراد الرئيس مبارك أن يعرف ما جرى بالضبط أو ماذا يعرف ما جرى بالضبط أو ماذا اتفق عليه أنور السادات مع كيسنجر أو مع كثيرين ممن تفاوض معهم، فلن يجد محضراً لها في وثائق الدولة كلها!

● **أستاذ هيكل.. بمناسبة ما يقال عما يسمى بحقدك على السادات، يقولون إنك أنكرت جميل الرجل، الذي عاملك حين كنت مسجوناً في حملة سبتمبر الأخيرة معاملة كريمة، فكنت في السجن تعيش وكأنك في بيتك تشرب مياه معدنية وتأكل من منزلك.. فهل حدث هذا لاحقاً؟!**

■ أنت وغيرك شهود على الكيفية التي كنا نعامل بها في السجن قبل اغتيال السادات، وأنا أتركه لك لقد احترمت رغبة من قال لنا أنه يريد أن يفتح صفحة جديدة في تاريخ مصر، ويتعاون مع كل القوى ولم أتحدث بكلمة واحدة، حتى في موضوع اعتبر نفسي مسؤولاً عن الكتابة عنه، وهو موضوع عبد العظيم أبو العطا، ومع ذلك أنت تعرف أننا نمنا على البلاط، وأجبرنا على أن نأكل طعام السجون الرديء.. العسل الأسود والجبنة الفاسدة، والفول المسوس، وحرمنا من الاتصال بأسرنا أو بالمحامين، وظلت أبواب الزنازين مغلقة علينا طوال النهار والليل، ولم يزرنا أحد، أو يصلنا طعام من بيوتنا قبل يوم ٢٥ أكتوبر ١٩٨١، وبعد وفاة السادات بأسبوعين، فإذا كنا قد عوملنا معاملة قانونية ـ نحن الذين اعتقلنا بعملية غير قانونية. فقد حدث هذا في عهد ليس هو عهد السادات، وكنت أقول إن أمثالكم من الشباب يمكن أن يحتملوا، وقد احتمل ذلك أيضاً شيوخ أجلاء كالمرحومين عبد العزيز الشوربجي وعبد الفتاح حسن، واحتملها أيضاً فؤاد سراج الدين، أما المياه المعدنية فلم تكف ترفاً أمارسه، بل كانت دواء أتعاطاه، وقد صرفت لي بموجب روشته طبية، من لجنة كبيرة فحصتني، واكتشفت أنني مريض بحصوتين واحدة في الكلى وأخرى في المرارة، والروشتة موجودة إلى الآن في سجلات مصلحة السجون.

● **بالمناسبة: أنت لم تتحدث حتى الآن عن مجريات التحقيق الذي أجراه معك المدعي الاشتراكي في حملة سبتمبر.. وقد أذعت في أحد فصول خريف الغضب سر التسجيل الذي أجرى في مكتبك هذا لحديث دار بينك وبين د. محمود فوزي نائب رئيس الجمهورية الأسبق في سياسة السادات، فما الذي حقق فيه معك المدعي الاشتراكي؟.. وهل كانت هناك تسجيلات أخرى غير هذا الحديث الذي أشرت إليه؟.**

■ تحقيق المدعي الاشتراكي الثاني معي، لم يختلف عن تحقيقه الأول وقد دار كله حول مقالات نشرتها وتصريحات أدليت بها، أما التسجيلات فقد كان بكل مكان في هذا المكتب جهاز تسجيل، والحديث الذي سجل للمرحوم د. فوزي، جرى في هذه الغرفة، وفي نفس المكان الذي تجلس فيه، وقد أتيح لي فيما بعد أن أقرأ تفريغاً له، ويا ليت الذين يهاجمون ينشرون نصه، ليعلم الناس رأي د. فوزي.

● **هل كانت تلك التسجيلات مأذوناً بها من النيابة؟**

■ لم يقدم لي أحد ما يثبت ذلك.. ولكنني لا أظن أن التسجيلات التي أجريت لي في زنزانتي كانت بإذن من النيابة.. وأنت تعلم أن كل ما كنا نقوله في السجن كان يسجل، وأن تقريراً يومياً عن معنوياتنا وتصرفاتنا كان يرفع إلى السادات.

● **يعرض البعض، أنك في بعض الموضوعات الخاصة بالسادات قد تجاوزت في التفسير أحياناً.. فالقول بأنه كان جاسوساً ألمانياً مثلاً، يتجاهل أن قسماً كبيراً من الحركة الوطنية المصرية في الأربعينات كان يتصور أن التحالف مع الألمان سيخرج الانجليز من مصر؟**

■ أنا لم أقل إنه كان جاسوساً ألمانياً، ولكني رويت التجربة كما رواها، والقصة رويت في سياق شرح عالم الأوهام الذي هرب إليه الرئيس.

صحيح أنه كانت هناك حركة في الوطنية المصرية تتجه هذا الاتجاه، وقد بدأ السادات في تنظيم يضم عبد اللطيف البغدادي ووجيه أباظة على صلة بعزيز المصري وبالألمان، ولكني من كلامه، أثبت في الكتاب أن السادات ذهب إلى

أبعد مما قصد إليه، فإن تتكلم مع الألمان في شأن قضية مصرية هذا معقول، ولكن أن ترسل اشارات، وتتعاون مع رجال مثل ابلر وساندي هذا شيء آخر، وإذا رجعت إلى الفصل ستجد خطاً فاصلاً بين علاقة هؤلاء بالألمان وما انجرف إليه أنور السادات، سواء بالاندفاع، أو بالهرب إلى الوهم!

● **هناك واقعة أخرى هي تهريبه من السجن في ربيع عام ١٩٤٨، حين كان مسجوناً على ذمة قضية اغتيال أمين عثمان، لينفذ لحساب السراي مع آخرين - محاولة لاغتيال مصطفى النحاس، وإعادته للسجن، بعد أن فشلت المحاولة. . هل يمكن أن نطمئن إلى مصادر الرواية التي ذكرتها في كتابك؟. هل هناك شاهد أو وثيقة؟**

■ معلوماتي تقول إن هناك تحقيقاً حدث في هذا الموضوع، والثابت أن السادات شوهد مع الذين نفذوا العملية بإحدى السيارات التابعة للقصر الملكي. وقد روى أحمد حمروش جزءاً من الواقعة في كتابه، ومع ذلك فهذه الواقعة وغيرها قابلة للنقاش، فمن لديه وثيقة أو شاهد ينفي هذا فليقدمها.

● **ربما كان الذين صاحبوه في السجن آنذاك أدرى بغيابه، وقد يفيد أن يدلوا بشهاداتهم؟**

■ هذا حقهم، ولكن مناخ التحريض المحيطبالكتاب يفسد أي مناقشة في التاريخ أو في السياسة وقد نقلت عن أحدهم وهو محمد إبراهيم كامل رواية تقول إن السادات كان يعلم مسبقاً بمحاولة خطف ملفات قضية أمين عثمان، وأخطرهم بذلك قبل حدوثها. .

● **أظن أن الذي دبر المحاولة هو حسن عزت - كما ذكر في مذكراته، وكما ذكر وسيم خالد أيضاً في مذكراته؟**

■ الذي خططلها هو القصر الملكي

● **جاء في الكتاب، أنك الذي اقترحت على السادات أن يصور للشعب**

المعركة مع مراكز القوى باعتبارها معركة حول القبول بدور متميز لأمريكا في الصراع؟

■ لا أنا لم اقترح عليه أن يصورها هكذا، بل كان هناك في الواقع مشكلة ديمقراطية فضلا عن مشكلة التفاوض وأنا قلت إن مشكلة الناس الحقيقية آنذاك، هي الحريات الديمقراطية، ولن تكسبهم لصفك ما لم تستجب لمطالبهم، فافتح قلبك وأبوابك وسجونك. كنت في الواقع أريد أن أشجعه على أن يكون ديمقراطياً..

● قلت في الكتاب أيضاً إنك كنت صاحب اقتراح فتح قناة السويس للملاحة البحرية في عام ١٩٧٥ بعد فشل المرحلة الأولى من مباحثات فك الارتباط الثاني في مارس ١٩٧٥، وقبل نجاحها وتوقيع اتفاقية المعمورة في اغسطس من السنة نفسها، ألم يكن اقتراحاً مثل هذا مما يساعد سياسات السادات التي كنت تعارضها؟

■ هذه الواقعة حدثت بعد خلافي معه وتركي الأهرام، وقد صاحبته في مباحثات أسوان، ولاحظت أنه متعجل جداً للوصول إلى اتفاق، الأمر الذي كان يجعله مستعداً للقبول بكثير مما اعتبره تفريطاً في حقوق الوطن، وكنت أرى إلا مبرر للعجلة فسألته: أنت مستعجل ليه على الاتفاق؟. وكان رده بالحرف الواحد: يا محمد أنا عايز أمصمص اللحم اللي في سينا، لأن الباقي كله عضم، واللحم الذي يقصده هو دخل قناة السويس وبترول سيناء، فاقترحت عليه أن يفتح قناة السويس، وقلت له إن هذا سيعطيه نصف الغنائم التي يريدها من الاستعجال في الوصول إلى فك الارتباط دون أن يوقع اتفاقاً، خاصة أن القناة كانت قد فقدت قيمتها كورقة ضغط بعد مرور ٨ سنوات على إغلاقها وبناء الناقلات العملاقة، وكان هو متردداً وكذلك بعض معاونيه، ولكنه اقتنع في النهاية. ولكني لم أختر يوم ٥ يونيو لكي يكون تاريخنا لفتح القناة، وعارضت بشدة فكرة خطرت له بأن يدخل القناة على الباخرة المحروسة، وذكرته بتاريخها الأسود، فهي التي حملت الخديو اسماعيل والملك فاروق إلى المنفى بعد عزلهما عن العرش.

وفي الفترة بين اقتراحي عليه وتنفيذ الاقتراح، كنا قد اختلفنا بعد أن صدر كتاب «الطريق الى رمضان»، ولا أعلم ماذا حدث لاقتراحي بين طرحه وتنفيذه.

● يقول بعض منتقديك إنك فيما أدليت به من أحاديث عقب الافراج عنك من المعتقل كنت ودوداً نسبياً تجاه ذكرى السادات، وقيل إنك زرت السيدة جيهان السادات معزياً في وفاته، وإنها أكدت لك أن السادات كان في نيته الافراج عنك في ٢٥ ابريل، فهل ما قيل صحيح؟. وكيف انتقلت من ود ما بعد الافراج، إلى ما يعتبرونه حدة خريف الغضب!!

● إنني لم أكن معتقلاً في قضية مخدرات أو بتهمة بيع فراخ فاسدة أو سرقة حديد تسليح، كنت مسجوناً لأنني صاحب رأي، ولأنني عارضت السادات، وحين خرجت شرحت أسباب خلافي معه، وهي كلها منشورة في حياته، وقلت وما زلت أقول إن مشكلة الرئيس السادات لم يفهم شيئاً من جغرافية مصر وتاريخها.

ولست أريد أن أتحدث بكلمة عن السيدة جيهان السادات، وقد قدمت لها عزائي بالفعل، فعلت ذلك لأنني حاولت أفصل بين ما هو انساني، وما هو سياسي..

وليس سهلاً على كل الناس أن يفهموا ذلك، وربما لم تفهموا ـ أنتم الذين صاحبتموني في السجن ـ مغزى الدموع التي ذرفتها على أنور السادات، حيث علمت بنبأ اغتياله.

كنت لا أزال أفرق بن ما هو انساني وما هو سياسي.. وأضيف أن خريف الغضب يخلو من أى موضوع يخص تصرفات أسرة السادات المباشرة.. أعنى زوجته وأولاده..

● هل تظن أن السيدة جيهان السادات وراء هذه الحملة الضارية على خريف الغضب؟. وهل لذلك دلالة سياسية معينة الآن؟

■ قلت إنني لن أتحدث عنها..

● **يقال إنك اخترت توقيت النشر بحيث ينشر الكتاب أبان الاحتفالات بعودة سيناء؟**

■ ضحك محمد حسنين هيكل وقال:

ـ هذا كلام لا يستحق الرد، وقد كان الناشر يريد أن يبدأ نشره في اكتوبر ١٩٨٢، بمناسبة مرور عام على حادث المنصة، ولكني آثرت التأجيل، ورأيت أن تمر الذكرى دون نشر، وإن كان عصمت السادات قد تكفل بإحياء المناسبة، وكان تقديري أن ينشر الكتاب في بداية العام، ولكن الذين اشتروا حقوق الترجمة اليابانية والألمانية طالبوا بتأجيل النشر حتى تنتهي الترجمة لأنهم تسلموا النص الانجليزي متأخراً، وهذا بدء النشر في ١٠ ابريل لضرورات عملية محضة.

● **ما هو المناخ الصحي لمناقشة خريف الغضب في رأيك؟**

■ لماذا لا نأخذ بالتقليد المتحضر الذي تلجأ إليه كثير من الدول، في موضوعات مشابهة، لماذا لا تتشكل لجنة للحوار السياسي حول الكتاب، حواراً هادئاً وموضوعياً، تتقصى ما به من حقائق.. وتسألني فيها، لماذا لا تكون هذه اللجنة علنية، وماذا فيها لو شكلت هذه اللجنة على مستوى سياسي قومي، فتتكون مثلاً من رؤساء الأحزاب الأربعة، أو أمنائها العامين، ولا مانع أن يضم إليها رئيس محكمة القيم والمدعي العام الاشتراكي ورئيس محكمة النقض، ولو ضمت شخصية عسكرية لها وزنها ومكانتها، وأحد المشايخ الأجلاء من رجال الدين فسوف يكون هذا مفتاحاً لمناقشة مثمرة، ويستفيد منها الوطن!

أما أن يستمر هذا الذي يجري، فهذا دليل على أننا نتأخر ولا نتقدم، دليل على أن الذين يريدون لنا نحن المصريين أن نظل عبيد إحسانات من يحكموننا ما زالوا أقوياء. دليل على أن حرية الرأي والمعتقد وحرية النشر والتعبير في خطر، دليل على أن صناع القياصرة وحملة الفساد، ما زالوا يمرحون!

حين ودعني محمد حسنين هيكل على باب مكتبه، كان ما يزال يحتفظ بابتسامته العريضة، وكنت لا أزل دهشاً لأن ابتسامته أقوى من الزوابع، وكان صوت المصري المجهول الذي قال: الحقيقة في القفص تغطي على كل الزوابع!